



رواية

جزائر عيسى

شاهيناز اسماعيل

جزائر عيسى

رواية



اسم العمل: جزائر عيسى
الكاتب: شاهيناز إسماعيل
التصنيف: رواية
عدد الصفحات: 187
رقم الإيداع: 2023/2771
الترقيم الدولي: 9789776908949
تصميم الغلاف: إسلام أشرف
إخراج داخلي: الكتابة وأهلها

جميع الحقوق محفوظة
جميع الحقوق محفوظة ويحظر طبع أو تصوير أو تخزين أي جزء
من الكتاب بأية وسيلة من وسائل تخزين المعلومات إلا بأذن
كتابي صريح من الناشر



رواية

جزائر عيسى

شاهيناز إسماعيل



إهداء

واعتذار لكل ملاك صغير
أسأنا إلى طفولته فكبر إنساناً جريحاً

والأهلاً

1.

فى طريق عودته من عمله، كان صلاح يمر من حديقة عامة، يختصر الطريق إلى محطة الباص الذى يقله إلى حيث يسكن.. كانت الحديقة تظللها الأشجار الوارفة، يغطى أرضها بساط من الحشائش، شبه خاليه إلا من بعض من نفر قليل ممن يحرصون على بقاء لونها الأخضر الزاهى يقلمون أطراف الأشجار، يسقون النباتات، ينقلون الورود من أوانيها إلى الأحواض .

فى هذا الوقت من النهار حيث حرارة الشمس تطرق رؤس البشر وتلفح وجوههم بلهبها، الكل يحتمى منها إما بالمظلات أو بقبعات أو يمشون على الأرصفه محاذين لواجهات المحال التجارية يستظلون بمظلاتها، أو بالشرفات أو يرفع أحدهم يده يخبئ وجهه ورأسه بجريدة أو بكتاب أو حقيبة صغيرة ، ومنهم من ترهقه المقاومة فيقذف بنفسه داخل إحدى المحال الكبيرة ينهل من عذوبة وحنان تكييف الهواء



الكهربائي، أما هو فكان يحتمى بأشجار تلك الحديقة الوارفة
يستظل بها وهو عائد من عمله في تمام الساعة الثالثة إلى أن
يخرج منها على الرصيف ، فيبتلعه أحد "الميكروباصات"

التي يقف على بابها غلام ينادى :عباسية، عباسية

في هذه المرة كانت السحب رحيمة، فكانت تخفي الشمس
وقت يصل لعشر دقائق كاملة وما أن تطل حتى تعاود فتخفيها
مرة أخرى، لفت نظره طفل صغير ابن ثمانى سنوات تقريبا
مهندم الملابس ناعم الشعر يجلس على إحدى الأرائك
الخشبية بالحديقة يستظل بشجرة كبيرة ، عيناه حائرتان
ممتلئتان بالدموع يظهر من إحمرارهما وأهدابه المبتله أنه بكى
كثيرا.. يتلفت يمينا ويسارا فى هدوء ثم يطرق..

لم يكن لصلاح طيب القلب رقيق المشاعر الخيار ليقترب من
الطفل محاولاً مساعدته

سأله : ماذا بك؟ ..

نظر الطفل إليه في حزن وأطرق مرة أخرى . استثارت هذه
الفعلة صلاح وجعلته أكثر إشفاقا عليه وأكثر تشوقا لمعرفة
حكاية هذا الطفل.. من هو ؟ لماذا يجلس وحيدا هكذا في
هذا المكان؟

جلس إلى جواره وربت على ظهره : ماذا تفعل هنا في هذا
الوقت؟ ولماذا أنت حزين هكذا؟
قال بلهجة ريفية : فقدت أمى .

• فقدت أمك ! أنت تائه إذاً ..! وكيف حدث هذا ؟
• كنا في زياره لإحدى قريباتنا ..وفجأه اختفت في
الزحام..بحثت عنها كثيرا ومشيت كثيرا . وظللت أمشى
وأمشى حتى وصلت إلى هنا.

• أشفق صلاح على الولد وقال : مسكينه أمك، هي الآن
تبحث عنك وربما تكاد تجن..

بكى الولد : أريد أمى .. أرجوك خذنى إلى أمى
.. سأخذك إلى أمك لا تبكى



ما اسمك؟

• اسمى أيمن

• معك موبايل؟

• لا

• هل تعرف رقم ماما ياأيمن؟

• لا

• طيب رقم بابا؟؟

• هز رأسه بالنفى.

• لا حول ولا قوة إلا بالله .. طيب ياابنى هل تحفظ رقم

هاتف أى شخص تعرفه ؟

• هز رأسه بالنفى مرة أخرى.

• ردد فى نفسه : هذا اهمال ، كيف يتركون الولد بلا موبايل أو

أرقام يحفظونها له أو يكتبونها فى ورقة يضعونها فى جيبه؟

-ما اسم بلدتكم ؟

-لا أعرف؟

-ياابنى أنت لست صغير للحد الذى لا تعرف به اسم

قريتك!

- أنا من البحيرة

- البحيرة محافظة كبيرة لابد أن تحدد فى أى مركز أو قرية

تعيش

يصمت أيمن.

يفكر صلاح قليلا ثم يقول

- طيب. هل تعرف أين تسكن قريبتكم؟

-لا أعرف لا أعرف ويبدأ فى البكاء .. أريد أمى .. أرجوك

خذنى إلى أمى... خذنى إلى أمى

يمسح صلاح برأسه ويربت على ظهره

لا تبكى نحن رجال . سأخذك إلى أمك.

• هل تعدنى

• نعم أعدك

يفكر فى نفسه : لا اله الا الله .. ماذا أفعل ياربى ؟



يقرر صلاح أن يأخذه معه إلى منزله يستريح ويأكل، ثم يحاول معرفة أى معالم لبلدته أو أية معلومات تفيد فى مساعدته للرجوع إلى أهله .. وإن عجز يتوجه به للشرطة فقد يكون هناك عندهم بلاغ باختفائه.. قال لنفسه : قبل ذلك يجب أن أصوره وأضع صورته على صفحات الفيس بوك وجروبات المفقودين لعل أحد يتعرف عليه ، يلتقط له بعض الصور بالموبايل.

اسمع . أنت ستأتى معى الآن وإن شاء الله نصل لأهلك.. تعالى . يمسك يده الصغيره ويمشى معه فيطمئن الطفل وينطلق بهم الميكروباص.

"صلاح الدريني "شاب فى التاسعة والعشرين من عمره خمري البشرة رشيق الجسد، لا يشتكى من طول أو قصر ، ولا يعانى من نحافة أو بدانة .. خمري البشرة ، حاد النظرات كصقر، بحاجبين عريضين أسودان ، ومنخار طويل ، بشوش

الوجه دائم الابتسام.. ترتاح له عين من تراه.. كان وحيداً ، يعيش بمفرده بعد وفاة جدته وكان عمره آنذاك خمسة عشر عاماً ، بكأها كثيراً فلم يعرف له أب أو أم غيرها.. نعم لم أعرف لى أب أو أم غيرها ثم عمى . الذى كان يأتى لزيارتنا كل أسبوع تمسكت بى جدتى ، ورفضت عرض عمى أن يأخذنى عنده ليرعانى مع أبناءه ، أراد أن يخفف عن جدتى حملى بعد أن بلغت السابعة من عمى . تنفس الصعداء حين رفضت ، وتنفستها أنا أيضا ، فزوجته لا تحبنى ويبدوا أنها كانت تعارضه فى ذلك .. جدتى أيضا كانت ذكية ففهمت . تعللت لابنها بانى من أقوم على خدمتها وليست هى قالت : أرسله فيأتى لى بطلبات المنزل الخضروات والفاكهه والبقالة والصابون ومساحيق الغسيل .. اشهد الله أن هذا لم يكن يرهقنى بالعكس كنت افرح باعتمادك على فى هذا ، وافرح بالشراء وافرح بصوتك وهو ينادينى من الشرفة وانا العب الكرة مع اقرانى فى الحارة : ياصلاح اذهب فاشترى



لنا كيس سكر وصابونة، التقط النقود من السلة المدلاه بحبل
وأسرع كالبرق كى لا اتأخر على اللع .. اوحشتنى يا جدتى،
أربعة عشر عاماً مرت على وفاتك.. اشهد الله أنك قمت على
خدمتى على أكمل وجه فكنتِ تنظفين البيت وتطهين الطعام
وتغسلين لى الملابس وكل الاعمال التى اقوم بها الان معتمداً
على نفسى منذ وفاتك ، رحمك الله يا جدتى وأثابك.. ثم
شرد مبتسماً مع صوتها وهو جالساً القرفصاء فى الطست وهى
تغسل جسده وتصب الماء الدافئ فوقه وهى تغنى له كأنه يوم
زفاهه : وافتحوا باب الجنينة واستحمى ياغزال.. وصلاح داخل
علينا بالرقبة الطويلة الزينة ياصلاح حود علينا ياناس ردوا
السلام.

2.

وفى منزل قديم من ثلاث طوابق بإحدى أحياء العباسية يصعد صلاح للدور الثانى ويقف أمام باب شقته يدير

المفتاح ويدخل : تفضل يابطل

أمامهم صاله بها أنتريه قديم وعلى اليمين مدخل يفضى إلى ثلاثة أبواب ،حجرة نومه، مطبخ، وحمام يطلون على منور المنزل وعلى اليسار حجرة نوم أخرى تطل على الشارع .

يشير صلاح الى الاربكة : تفضل اقعد هنا ..وانا سأدخل أبدل ملابسى وأصنع طعاما ناكله أعلم أنك جائع .. يفتح التلفاز ويأتى بقناة الكارتون ويضع الرموت أمام أيمن على المنضدة .

يدخل صلاح إلى حجرة نومه يبدل ملابسه ويدخل الحمام فيستحم، ثم يذهب إلى المطبخ يحضر طعام سريع ويخرج وفى يده صنية الطعام، فلا يجد أيمن رغم أن قناة الكرتون لاتزال مفتوحة .. يزيح الرموت بأطراف أصابعه ويضع الصينية



على المنضدة ، ثم يتوجه إلى الحجرة الأخرى فيجده نائمًا على السرير يقول في نفسه: مسكين واضح أنه متعب من المشى والبحث عن أمه .. لكن أيمن كان قد غطى وجهه "بالكوفرتة"، فأزاحها صلاح عن وجهه بحركة تلقائية وليته مافعل، فلم يجد أيمن وإنما جثته، ميت، منتفخ العين، كدمات وجروح بوجهه ورقبته، صديد ودم يخرج من بعض الجروح، يفتح صلاح عينيه ، يصرخ، يجرى فى كل مكان يفتح باب الشقة وينزل للطابق الأسفل ثم الأرضى ويجرى ناحية شقته بسرعة . تجمع الجيران من المنزل ومن خارجه منزعجين يحاولون الفهم ، يشير إلى شقته

• ماذا بك ياابنى؟

• دخلوا إلى شقته وهو بخارجها منهار مذعورًا

بحثوا عن حريق يطفئونه أو لص يمسكونه أو ثعبان فيقتلونه لكنهم لم يجدوا شيئًا ، خرجوا وبدأ كبار السن فى الربت على ظهره .. ليس هناك شئ ياابنى إهدأ..

-
- ليس هناك شيء؟ كيف؟ الولد .. الولد ميت بالداخل على السرير .. ولد؟ ولد من؟ تعالى تعالى، اصطحبه من يده للداخل ومرره فى الشقة كلها ليطمئنه
 - ها هى الشقة كلها ليس بها شيء.
 - كيف؟

• اطمئن يابنى .. اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
،ادر صوت القران فى الشقة.. يمسك أحدهم الريموت
ويضغط زر قناة القرآن الكريم كان الشيخ سعد الغامدى يقرأ
سورة آل عمران

ذهب الجيران وتركوا معه صديقيه وجاريه محمود وخالد
قال محمود :لن نتركك إلا بعد ان تهدأ.. أحكى لنا مالذى
حدث



بدأ صلاح يحكى .. يسمعانه وهما متأكدان بما لا يدع مجال للشك أن صديقهم يهذى ، وأن ما حدث إنما فى خياله فقط أو فى منامه

لكنهما كانا مشفقان قلقان عليه، فكانا يظهران التصديق، واتفقا اتفاقا غير معلناً أن يجارياه ربما ذلك يخفف عنه ماهو فيه

قال خالد : هل كان بملبسه أو وجهه شئ لافت ؟ أم علامه معينه ؟

رد صلاح : لا . كان يرتدى لبس كلاسيكى قديم ليس على الموضة..أعنى أنه لم يكن يرتدى تيشرت وكوتشى مثلا وجينز، وانما قميص كروهات وبنطال أخضر وحذاء أسود لامع مثل الأولاد فى المسلسلات القديمة ، شعره بنى اللون ، ناعماً جدا .. شكله كان جميل وبرئ جدا وملابسه مهندمه..فجأة فتح عينيه وقال : لقد صورته بالموبايل أحضر موبايله بسرعة وفتح معرض الصور لكنه لم يجد شيئاً، جلس

على الأريكة مُحَبَّبًا :والله لا أكذب عليكم ولا أحلم أنا صورته بالفعل لكن لا أعرف أين أختفت الصور .

صمت قليلا ثم قال : تذكرت ، كان معاه شئ يقبله فى يده يلعب به مثل مادلية أو لعبة صغيرة كانت على شكل قلب أحمر مكتوب عليه كلمة بالانجليزية

:محمود : وما هذه الكلمة؟

صلاح :لا اعرف ، لم ادقق النظر فيها ، لكننى لمحت أول حرفين منها .. أظن k و i... أعتقد انها كلمة " king " نظر محمود وخالد إلى بعضهم البعض وأعينهم تقول أن هذه تفاصيل دقيقة لايمكن أن تكون فى خيال.

محمود : وماذا أيضا ، تكلم ياصلاح

كانوا يتركون صلاح يتكلم على سجيته وقد وقر فى قلوبهم أن أبسط شئ يقفون به إلى جواره فى هذا الموقف أن يتركوه يفضض ويتكلم عن كل ما رآه وأفزعه سواء كانت رؤية أو خيال أو حقيقة



المهم أن يتكلم ليستريح وهم ينصتوا إليه جيداً
صلاح : لا شئ آخر ، فقط كما شرحت لكم ، خرجت من
المطبخ أحمل صنية الطعام فلم أجده ثم وجدته على السرير
بالبهية التي وصفتها لكم..

خالد : طيب هل نمت جيداً بالأمس؟

ينفعل صلاح : ياخالد أنا لا أتخيل ، أيمن كان حقيقة ،
رأيتها بعيني ولمستها بيدي . أيمن كان يجلس هنا على هذه
الأريكة مكان محمود بالضبط ثم أطرق يفكر، وإذا به يرى
شئ تحت الأريكة خلف قدمي محمود فتح عينيه وهو يشير
للأسفل دون أن ينطق فزع محمود وانتفض قائماً ونظروا .
كانت الميدالية نصفها ظاهر . التقطها صلاح بسرعه ومدها
لهما : ها هي الميدالية ، هل علمتم الآن أنى لا أحلم؟ .
يأخذها محمود وينظر لها جيداً ثم يفزع ويناولها لخالد
ويكمل : لكن هذه ليس مكتوب عليها king وإنما (kill)
.. يعنى قتل ياصلاح قتل .

- قتل ؟

تنتاب محمود وخالد الحيرة والرعب وقد صدقا أن ما رواه صلاح حقيقة لا شك فيها ساد الصمت وانتشرت علامات الإستفهام فى عقول ثلاثتهم ..

من أيمن؟ لماذا ظهر لصلاح؟ مامعنى الميدالية؟ هل سيبدأ

فى قتل صلاح ومن حوله؟ كيف يقاومونه اذا وهو شبوح؟

هل يستعينوا بشيخ يطرد الأرواح؟ وهل سيجدى ذلك؟ هل

ينتقل صلاح للعيش فى شقة أخرى؟ وماذا لو لحق به فى

الشقة الجديدة؟ أسئلة عديدة وافتراضات تختفى فى عقولهم

حين ثم تخرج على ألسنتهم حين آخر يناقشونها ثم يصمتون.

انقضى النهار دون أن يشعروا . قال صلاح : هيا نخرج

نتمشى قليلا ، كما أننى لا أستطيع النوم هذه الليلة على

الأقل فى الشقة بمفردى،

لتبيتوا معى الليلة.



رد محمود ساخرا : وأين ننام إن شاء الله؟ على السرير الذى

كان ينام عليه المحروس أيمن؟

كان صلاح يعلم أنه لا يمكنه المبيت عندهم، فشقة محمود فى الدور الأرضى حجرتين، ترك إحداهما لأخته رغد وعلياء وفتح الأخرى على الشارع لتكون محل بقاله تساهم فى المعيشة مع راتبه الضئيل من عمله مدرس لمادة الرسم ومعاش الأب الذى توفى هو وأمهم فى حادثة ، أما هو فكان ينام على الأريكة بالصالة، وأما شقة خالد فكانت حجرة لأبويه وحجرة لأخته المطلقة" دعاء "وأبناءها الأثنين وكان ينام مثل محمود فى صالة الشقة..

ذهب كل منهما ليبدل ملابسه ودخل صلاح فتجهز للخروج وضع العطر ومشط شعره وخرج من حجرتة ففتح عينيه ذاهلا فقد وجد أيمن يجلس على الأريكة رفع أيمن رأسه وقال : أين

الطعام يا صلاح ؟ أنا جعت

فوقع صلاح مغشيا عليه

3.

على كورنيش النيل فى مكان هادى جلسوا على كراسى
بلاستيكية يتأملون مياة النيل الصافية التى تنعكس فيها الأضواء
الملونة للمبانى والأعمدة والمراكب التى زينها أصحابها
بالمصاييح المختلفة الألوان وجاء عم عبدو بالشاى.

خالد : لو لم نكن تركنا الباب خلفنا مفتوح لكنا ظللنا نظرقه
للصباح

محمود : نعم كنت تستلقى على وجهك ممددا على الأرض
وكأنك مخدر لم تفق إلا بعد جهدٍ جهيد بالعمود حين وبرائحة
البصل حين آخر وبسكب الماء على وجهك هههه
فلتبتسم ياصلاح ، ماذا جرى لكل هذا الوجوم ،
صلاح : لا أستطيع أن أنسى ياجماعة، اعذرونى.

لا يزال صلاح مصدوم ، لا يزال خائفًا، يخشى أن يطارده شبح
الطفل هذا ويظهر له مرة أخرى أو يظهر له فى أماكن أخرى..



تطرق محمود وخالد لموضوعات عدة ، وتنقلا ومعهما صلاح من مكان إلى آخر، حتى استطاعا إخراج صلاح بعض الشيء من حيرته ، وخوفه .

يعودون بمترو الأنفاق، ينزل خالد ومحمود محطة " منشية الصدر " ويكمل صلاح إلى محطة "حلمية الزيتون " ليبيت عند عمه "سالم"

نزل صلاح محطة " حلمية الزيتون " وأخذ يتمشى إلى بيت عمه الذى يبعد عن محطة المترو بضع دقائق يضع يديه فى جيب سترته الجلدية سوداء اللون يحتاج أن يتنفس نسيم الليل المنعش الجميل رغم الزحام والضوضاء إلى أنه يشعر بالانتعاش، هذه المدينة لا تنام أبداً ، وأخيراً هاهو يقف أمام بيت عمه

رحب به عمه متعجباً من هذه الزيارة المتأخرة

- تفضل ياابنى

- أنا آسف يا عمى تليفونى انتهى شحنه فلم استطع أن أستاذنك بالحضور.

- لا يا ابنى لا تقل هذا . هذا بيتك تأتى إليه وقتما تشاء .
اصنعى لنا شأى يانهى .. (نهى) ذلك الاسم الذى يدق قلبه
لسماعه ، الحمد لله أنها لاتزال مستيقظة ، فنظرةً إلى عينيها
الجميلتين تكفى لعودة الراحة والهدوء لنفسه المضطربة ..
تأهب العم إلى سماع شئى هام من صلاح .

- كيف حالك يا صلاح ؟

- الحمد لله يا عمى

تردد صلاح هل يحكى لعمه أم لا... لا بد أن أحكي له ، على
الأقل أبرر قدومى متأخرًا ورغبتى فى المبيت عنده الليلة
.. شئى مخجل

أولها : أرغب أن أبى عندكم الليلة .

وتانيها : السبب فى هذه الرغبة : خائف مثل العيال الصغيرة .



ياللا خجلى لا لن أقول ذلك ؟ سأخترع سبب آخر للزيارة
وأنصرف .. لكن إلى أين؟

- مابك ياابنى ؟ ما الذى يشغل بالك إلى هذا الحد؟ قل لا
تخجل.

- أبدًا ياعمى .. موضوع غريب حصل معي اليوم وأريد أن
أخبرك به

- خيرًا إن شاء الله ؟

بدأ صلاح يحكى لعمه ماجرى له

- حكاية غريبة فعلاً ، ولا فى الأحلام

- هل أنت مصدقنى ياعمى؟

- طبعًا .. فضلا عن أنك معك دليل صحة كلامك)

(الميدالية)

أقبلت نهى بصينية الشاى مبتسمة، فانفرجت أساريره،

وضعت الصينية ووقفت خلف كرسى والدها الذى أطرق يفكر

فيما سمع بينما كانت وصلاح يتبادلان نظرات الحب

والإعجاب.. ثم عادت عروس البحر - كما كان يسميها - إلى الأعماق مرة أخرى ليتها انتظرت على الشاطئ بضع دقائق أخرى.

وكالعادة لم تخرج زوجة عمه لاستقباله ، هو يعلم أنها مستيقظه لكنه يعلم أيضا أنها لا تحبه.. حقيقة هو لا يعرف لماذا تكرهه ، وما سبب عدم الإرتياح له الذى يبدو فى أقوالها وأفعالها ؟ تحاول أحيانا كثيرة أن تداريه ، فهو لم يصدر منه أى شئ يدعو لكراهيته أو معاملته معاملة سيئة... يعرف أنها تشكل عقبة كبيرة فى طريق زواجه من ابنة عمه ، لكنه يعول على حبهما الذى من المؤكد أنه سيجعل " نهى " تتمسك به.. كما أن عمه سوف يساندهما فى هذا الأمر فهو يحبه ويقدره.. كان صلاح فيما سبق قد تحدث مع عمه عن رغبته فى الزواج من نهى لكن عمه تعلق بأنها لاتزال فى الجامعة.. أما "عمر" الفتى الذكى ابن الرابعة عشر أخو نهى فهو إما نائم وإما فى حجرتة يغيب عن الوعى أمام الألعاب



الألكترونية على الكمبيوتر ..بقيا مع أبويهما بعد زواج
إخوتهما الكبار عادل وزياذ..

قطع صلاح حالة الصمت تلك : عمى .. ألم تخبرنى فيما
سبق أن لك صديق قام بعدة أبحاث فى العوالم الخفية ؟ ..

- بلا

- أريد أن أقابله من فضلك

- حسناً. سأاتفق معه على موعد ونذهب إليه ..

هز صلاح رأسه بالموافقة ، وصمت قليلا ثم استجمع
شجاعته و قال بتردد :

أصحابى قالوا أفضل لى أن أبيت بعيداً عن الشقة هذه الليلة ،
وأنا لم أرض أن أبيت عند واحد منهم ، تعرف أننى لا أحب
أن أبيت عند أحد غريب و..

قاطعته : طبعا ياابنى البيت بيتك سأحضر لك " جلاباب
"لتبذل ملايسك.

كانت حجرة الإستقبال بها صالون أرايسك متلاصق وسرير.

استغرق صلاح فى النوم كأنه لم ينم من قبل ، لكنه رأى فى منامه كأنه يبيت فى شقته وفى ساعة متأخرة من الليل سمع صوت خطوات متسارعة فى الخارج وأنفاس متلاحقة فنظر من النافذة فلم يرى شارع الذى تعود أن يراه من النافذة ولم يجد البيوت المقابلة لبيته وإنما وجد مساحة شاسعة زرع وأشجار وترعة وكأن بيته انتقل الى الريف وفى ضوء البدر المكتمل رأى امرأة بملابس ريفية تهول هاربة على شاطئ الترعة وهى تحمل طفل لا يتجاوز الشهور، وفى يدها الأخرى قماشة معقودة الاطراف يبدوا أن بها ملابسها ، تتلفت خلفها وكأنها تخاف أن يُلحق بها
فشعر بالقلق عليها ..

استيقظ صلاح فى الصباح الباكر فارتدى ملابسه وذهب إلى عمله بعد أن شكر عمه معذراً عن طعام الإفطار وأخبره أنه يحب أن يفطر متأخراً



الأستاذ "سالم الدرينى" عم صلاح تخطى الستين بعامين
موظف بالمعاش .. كان يعمل سكرتيرًا بمكتب أمين عام
جامعة القاهرة ما أتاح له أن يكون من ضمن أصدقائه دكتور
وباحث مثل الدكتور صبرى الذى يهتم بأبحاث القوى الخفية
وهم أصدقاء منذ فتره تقترب من العشرين عاما فالدكتور
صبرى يحبه لرجاحة عقله ، وطيبته ، وخفة ظله ووقوفه إلى
جانبه فى كل الأزمات .

-4-

تعمل " دعاء" الأخت الكبرى لخالد لتعول طفلها ، رغم أن أباه وأخاها أخبروها باستعدادهم لتكفل أبنائها ، إلا أنها عفوفة النفس ، وأما عن طليقها فلم تستطع إقناعه بالإفراق على أطفاله، ولم يكن لديها الوقت والطاقة والمال للجري بين مكاتب المحامين وبين محكمة الأسرة لتحصل على النفقة منه كما أنها تعلم أنه لاجدوى من ذلك، فهو عاطل كسول يعمل حين ويكسل أحيان، وليته اكتفى ، بل أنه يطاردها ليطلب المال .

استيقظت باكراً كالعادة وأيقظت طفلها "حازم" ذو السبع سنوات، اصطحبته إلى المدرسة تاركه الصغيرة "نورا" نائمة برعاية جدتها وجدها .. ذهبت إلى عملها ، تناولت طعام الإفطار مع زميلاتها بالمكتب وسط جوٍ من المرح والسخرية من الحال ، والأسعار ، وساعات العمل ، ومن أزواجهن، ومن بعضهن البعض.. حتى انتهين وانتهى الأستاذ عبد الله الذى



يفضل الإفطار منفردًا.. متحفظًا .. لاعتنا حظه العاثر الذى
وضعه فى مكتب واحد مع أربعة من زميلاته ، ما يسبب له
ذلك من حرج ، تحفظ فى الكلمات الأفعال ، وخوف من
أن يكون مادة للسخرية كلما خرج.. وهو يعلم أن مجرد
تحفظه هذا مدعاة للسخرية منهن، رغم أنهن يتعاملن معه
باحترام بل وتوقير ، وأيضا مايجر عليه ذلك من متابعة دائمة
من الزوجة وشك مستمر ، وأسئلة كثيرة لا تهدأ حتى يروى
لها الأستاذ عبد الله كل صغيرة وكبيرة حدثت على مدار اليوم
أثناء العمل.. يندم أن أخبرها يوما أنه الرجل الوحيد وسط
أربع موظفات،

بعد الإفطار انهمك كل منهم فى عمله وفى الأوراق التى
أمامه .. وفجأة وجدت دعاء يد ممتلئة سمراء تعرفها جيدا
تنقر بالأصابع الأربعة على مكتبها وجسد كجسد الثور يقف
أمامها قالت : يفتاح يا عليم يارب.
ورفعت رأسها : نعم؟

بينما انتبهت زميلاتها متوجسات فهن يعرفن فتحى طليقها

مال رأسه عليها ماداً يده : خمسمائة جنية

قالت بعصبيه وصبر فارغ:

ليس معى نقود .. احترم نفسك ولا تأتى لتطلب منى المال
مرة أخرى.. احترم أنى أم أولادك . بأى حق تطلب منى
المال ؟ هل وجب على الأنفاق عليك ؟ ألا يكفى أنك تمتنع
عن الانفاق علي أولادك وأننى أتحملهم وحدى؟

يضحك بتهكم : بأى حق؟م يبدأ يعد بأصابع يده: بحق أنى
جعلتك أم ، بحق أنهم أولادى وأتركهم لك ، بحق أنى
أستطيع أن أشهر بك وأجعلك سيئة السمعة وأتى على ذلك
بشهود وأثبت للمحكمة أنك لست أهل لتربية أولادى وآخذهم
منك ، وبعد ذلك اجعلهم يكرهونك،أقول لهم أمكم امرأة
سيئة السلوك وسوف يصدقونى..استطيع أن أجعلهم يرفضون
رؤيتك بل ويصقون إن جاءت سيرتك.



ها هل رأيتى كم انا رجل كريم؟ هل رأيتى أننى استطيع أن
أفعل الكثير؟ ألا استحق جزاءً لإنسانيتى هذه أن أجد المال
حين أطلبه؟

ثم أنك موظفة، ولك دخل شهرى ثابت لماذا لا تعطى
مسكين مثلى يعمل يوم ويوم لا؟

تجذب حقيبتها وهى حانقة مقهورة تخرج منها مائتى جنيه
وهى تقول ليس معى غيرهم وتضرب كفه الممدود بها : خذ
أسأل الله أن تنفقهم فى الدواء

: هههه لا سوف أنفقهم فى الحشيش

تجلس على مكتبها وهو يخرج مسرعاً .. سلام يا حلوة

تبكى

تلتف حولها زميلاتها يربتن عليها ، يواسونها.. يأتى لها
الأستاذ عبد الله بكوب ماء كان أمامه إلى جوار فنجان
القهوة، ينوى ألا يحكى لزوجته عما حدث فأكثر ما يضايقها
ويقلقها وجود مطلقة معه فى المكتب.

-5-

عاد صلاح إلى ما كان عليه . عمله . شقته . أصدقاءه ، مر
أسبوعًا كاملاً.. استطاع أن ينسى ما حدث ، لكنه كلما تذكر
اقشعر جلده ودعا ربه ألا يتكرر ما حدث مرة أخرى وقد واطب
كما- نصحوه -على تشغيل سورة البقرة في الشقة مرتين في
الأسبوع على الأقل.

أحيانا يسأل نفسه : ترى كنت أحلم؟

ثم يجيب : لالا ..لايمكن.. الميدالية اللي تركها الولد
عندى تثبت أنه واقع وأنه ليس حلم.

ينفرد خالد بمحمود فيقول له : أنا قلق للغاية على صلاح
محمود : وأنا أيضا .. ترى مالذي شاهده ذلك ؟ جن أم شبح

لروح إنسان؟ وماذا يريد منه

خالد : أنا قلق عليه من أمر آخر ليته يكون شاهد جن أو

شبح

محمود : ماذا تقصد ؟



- أقصد ليته ماشاهده ذلك حقيقة فعلا لا نسج من خيالة
أخاف أن يكون مريض.

- مريض؟

- نعم .. هناك نوع من المرض النفسى يرى فيها الشخص
أشخاص وأحداث ويسمع أصوات

يفزع محمود : ماهذا الذى تقول ؟ أياكون خالد أصيب فى
عقله؟ ياللمصيبة .. ياللمصيبة

- أرجو أن لا يكون ظنى فى محله

- لكن ياأخى لقد أرانا الميدالية التى كانت فى يد الولد.

- ليس بالضرورة .. هناك أمراض يشتري الشخص أشياء أو
يأتى بأغراض لمنزله ثم ينسى ويعتقد أن هناك من وضعها له
ويربط بينها وبين خيالاته

يمسك محمود رأسه : ياإلهى وما العمل ؟ كيف نتأكد ؟ وهل
ستترك صديقنا هكذا ..

خالد: لكى نتأكد يجب أن يعرض نفسه على طبيب نفسى
هو من سينفى الأمر أو يؤكد ويبدأ العلاج ، لكن المشكلة
الأكبر كيف نقنعه بذلك ..

محمود :نعم معك حق .. وهناك مشكلة أخرى

خالد : ماهى ؟

محمود : من أين لنا بالطبيب النفسى ؟ سمعت إن فاتورة
الأطباء النفسيين مرتفعة جدا..

خالد : لا محلولة بإذن الله ..أعرف طبيب نفسى أحيانا
يستقبل استشارات فى مكتبه بالجامعة .. نستشير على الأقل
فى البداية ثم يوجهنا .. مؤكداً أن تلقى العلاج فى
المستشفيات النفسية العامة لا يحتاج لمبالغ طائلة ..إن
احتاج الأمر.. أرجو من الله أن يخلف ظنى

- ما رأيك أن نذهب نحن أولاً نعرض الأمر على الطبيب

- لا .. يجب أن يرى صلاح بنفسه ويتحدث معه ، وإلا

كيف سيشخص حالته ؟



- نعم.. صدقت

- علينا إيجاد طريقة لإقناعه

كان صلاح يستعد للذهاب إلى عمله ارتدى ملابسه وقف أمام المرأة يمشط شعره وضع الفرشاه فوجد إلى جوارها ظرف قديم التقط الظرف وجده مفتوحًا ووجد به ورقة قديمة صفراء اللون أطرافها متآكله بعض كلماتها ممسوحة لكنه استطاع أن يقرأ باقى الكلمات

(أخى نبيل .. لم أعد أطيع العيش مع هذا الرجل
.... يرجع سكران ..

يدخل البيت بعد منتصف الليل يوقظنى ، يصرخ فى .. يسب ويشتم ، يضربنى ويفزع العيال ويطردنا من البيت.. أنا خائفة
يانبيل... ليس لى غيرك ياأخى)

بايدى مرتعشه يطوى الورقة ، يعيدها إلى المظروف ، يضعه جانبا ، يجلس على حافة السرير، يبدو حائرًا منفعلاً يقول :

ما دخلى أنا بنبييل أو بأيمن أو بك أنتِ يا صاحبة الرسالة ؟ ما دخلى أنا ؟ لماذا تدخلون بيتى ؟ لماذا تدخلون حياتى ؟ ماذا تريدون منى ؟

ارتدى الجاكت ووضع الخطاب فى جيبه ، ثم فتح درج "الكومدينو" وأخذ الميدالية ، وضعها فى الجيب الآخر ومشى يفكر ساخرًا .. ياسلااام أحمل فى الجيب اليمين خطاب قديم من مجهول، وفى الجيب الشمال ميدالية من شبح طفل.

انتابته القشعريره عندما تذكر ذلك.. وصل إلى عمله فانجز بعض المهام ثم اتصل بعمه
عمى حصل شئ جديد اليوم فى الموضوع الذى كلمتك فيه قبل ذلك.. أريد موعد من صاحبك الذى يفهم فى الجن والأرواح فى أسرع وقت
حاضر حاضر سوف أتصل به وأرد عليك.
وبعد عشر دقائق دق هاتفه



أهلا ياعمى

الدكتور صبرى موجود فى منزله بعد المغرب ما رأيك تمر
على نتغدى معا ونذهب له

أشكرك ياعمى علي أن أبدل ملابسى

عاد من عمله فاغتسل وتناول طعام الغداء

أخبره خالد عبر الوتس أنهم سيصعدون للتحدث معه فى
موضوع مهم..

صلاح : مالخبر؟

خالد : الحقيقة ياصلاح نحن نخاف عليك جدا .. اعذرنا
أرجوك ولا تغضب منا ..

صلاح : ماهذه المقدمة ياخالد ؟ ماذا تريد أن تقول؟

خالد : يجب أن تعرض نفسك على طيب ياصلاح .. ربما
يكون موضوع أيمن هذا خيال من روايب نفسية أو كبت
معين فى طفولتك .. ربما تكون اشتريت هذه الميدالية ثم
نسيت .. يحدث ذلك أحيانا .. ليس عيب أن تذهب

للطبيب النفسى.. تطمئن على نفسك ونطمئن عليك .. أنت

رجل مثقف ومتعلم وتعلم ذلك

ضع كل الاحتمالات .. وابحث فى كل الطرق .. ربما

يكون جن .. ربما يكون شبح .. وأيضا ربما يكون خيال ..

كان صلاح يسمعه بصبر وينظر له ولمحمود الذى انكمش

فى كرسيه تاركًا المهمه الصعبة هذه لخالد الأفصح منه قولاً

تركهم صلاح دون أن ينطق وغاب بالداخل وخرج يمد لهم

يده بالخطاب وهو يقول : إذا كان هناك احتمال أنى اشتريت

الميدالية فما قولكم فى هذا؟ وجدته اليوم فى الشقة ..

خطاب يظهر من ورقه أنه قديم محيت الكثير من كلماته ..

أخذ خالد الخطاب فتحه ، قرأه ، وانتابه الدهول وأيضا

محمود

نظرا لبعضهم البعض ثم نظروا لصلاح

قال محمود : كان الله فى عونك.

وقال خالد : أنا آسف .

-6-

وفى منزل الدكتور" صبرى "روى صلاح له كل ماحدث
وناوله الميدالية والخطاب..أخذ الدكتور صبرى يتفحص
الميدالية ، ارتدى نظارة القراءة ، أخرج عدسة مكبرة وأخذ
يتفحص الرسالة ، يقرأها ، يعيد قراءتها ، يتفحص أطرافها
وضع العدسة جانبًا وخلع نظارته وتنهى ثم قال :حالة الورقة
هذه تقول إن هذه الرسالة منذ حوالى ثلاثون سنة تقريبا
..الحبر باهت ، الكلام ممسوح ،الورق أطرافه قديمة
ومتآكله..

يقلب الميدالية ويقول :لكن الميدالية.. بصراحة لا أستطيع
أن أحدد وقتها أو دلالتها ..

صلاح : أريد أن أعرف يادكتور صبرى لماذا تحدث لى هذه
الأمور؟ أريد أن أعرف ماهى الطريقة التى تجعلنى أصرفهم
فلا يظهروا لى مرة أخرى أو يرسلون لى رسائل ..

- اسمع ياصلاح .. بعض الأرواح تظهر لبعض الناس فى المنام أو فى الحقيقة كى تبعث لهم رسائل معينة.
تكون غيرمرتاحة فى قبرها لسبب أو لآخر فتسعى للظهور
لشخص معين بمواصفات معينة كى تعبر عن نفسها وعدم
ارتياحها.

- وما هى هذه الصفات ؟

- لا أدرى والله ماهى مقاييسهم بالضبط.. لا أعلم يختارون
الأشخاص على أى أساس ؟ ربما الطيبة ، الشفافية ، الصدق
، أو الجرأة .. لا أعرف.

إنما ثبت لى من خلال أبحاثى، وخلال أعوام مضت ،أنهم
دائما ما تكون لهم مطالب، أو شئ يريدون من الشخص الذى
يظهرون له تنفيذه لهم كى تتراح أرواحهم، وحينها يكفون
عن الظهور..

يقول صلاح فى حيرة :

- ترى ماهى المطالب التى يريدون منى تنفيذها ..



لكن لماذا أجزمت أنهم أرواح ؟ أليس من الممكن أن يكون
جن مثلاً؟

ابتسم الدكتور صبرى وقال: لا ..الجن لا يظهرون بهذا
الشكل وليست هذه طريقتهم .
فكر صلاح قليلا ثم سأل:

وماذا أفعل كى أعرف مطالبهم هذه؟ وأتخلص منهم
- هم فى الغالب يلمحوا لا يصرحوا .. يبعثوا رموز ودلائل .
وإنت عليك أن تفك شفرة هذه الرموزربما يكون غير
مسموح لهم غير بالتلميح...ربما
يواصل دكتور صبرى شرحه:

هم يعرفون أن الشخص هذا قادرعلى فهمهم أو فك شفرتهم
، كيف؟ لا أدرى ... خلال بحثى طيلة هذه السنوات أبداً لم
أر أحداً ظهرت له أرواحٌ إلا وقدر فى النهاية أن يصل لما
يريدون وكأنهم إختاروه بعناية ..

يشرد صلاح.. هل يحدث أحيانا أن تصرح الروح للشخص

الذى تخرج له بما تريد مباشرة ؟

اعتدل الدكتور صبرى وأجاب: فى حالات نادرةإذا

قدرت أن تسألهم إسألهم ربما يجيبونك

فزع صلاح : أسألهم؟

وإن آذونى أو قتلونى؟ الميدالية مكتوب عليها(kill)

- لا أظن ذلك ابدأ.. الأرواح لا تأذى .. من المؤكد أن

" Kill " هذه شئى خاص بهم.. يعنى مثلاً أحدهم قُتل أو

شاهد جريمة قتل .. مثلاً .

شكر صلاح الدكتور وذهب وقد ازدادت حيرته وازداد خوفه

وترك عمه يلعب الشطرنج مع صديقه

عاد صلاح إلى منزله وظل يتخيل كيف يكلم أيمن ، وكيف

يسأله وماذا عليه أن يفعل بالخطاب .. وهل هناك علاقة بين

صاحبة الخطاب وأيمن ؟ أم أن كلاً منهما لا يعلم شيئاً عن



الآخر؟ ثم رفع صوته وهو يقول: هل اتفقتوا مع بعضكم البعض
كى تظهرو لى فى نفس الوقت ؟ أم كل واحد يخبر الثانى
عنى فيأتى بعده؟

يفكر: ترى سيظهر لى أحد غير أيمن؟

صمت قليلا ثم تسائل : ترى صاحبة الخطاب ستظهر لى؟

ارتعد ونظر يمينا ويسارًا وقال : بسم الله الرحمن الرحيم

يارب قوينى لو ظهر لى أحد مرة أخرى .

قرر أن يلهى نفسه قال : بما أن اليوم الخميس يمكننى أن

أسهر قليلاً .. فتح التلفاز ، جاء ببعض المسليات وجلس

يشاهد حتى غلبه النعاس، وفى منامه رأى نفس الرؤيا التى

سبق ورآها عندما بات فى بيت عمه.. يسمع أصوات خطوات

تجرى خارج المنزل ولهات مستمر ينظر من النافذة فيرى كأن

بيته انتقل للريف زرع وشجر وترعة ، امرأة بملابس ريفية

تحمل طفلاً تهرب به ليلا مستهدية بضوء القمر ، تتلفت

خائفة من اللحاق بها .. صحا من نومه قال لنفسه : أصلى

اليوم الجمعة فى الحسين وأتمشى قليلا فى هذه الأماكن لقد
أوحشنى زحامها وزخمها .. صلى وخرج يتمشى، وبتفرج على
المبيعات التحف الفرعونية، الحلى ، أوراق البردى ، الصوانى
النحاسية المحفور عليها النقش الفرعونى أو الآيات القرآنية
وغيرها ، بازارات .. وبائعين يعلقون بضائعهم على الحوائط أو
يعرضونها على طاولة ، أونسه المشى إلى جوار الناس والسياح
، هذا الأزدحام المحبب إليه ، الناس يتفرجون ويشترون ، أو
مثله يشاهدون ويستمتعون فقط .. فالمكان مثل معرض
للتحف .. وسط هذا الزحام ظهرت امرأة شابة مقبلة، تمشى
ببطئ .. ترتدى اللباس الريفى الجلاب وغطاء الرأس
الأسودين وتمسك بيديها الإثنتين صورة كبيرة تمدها تريها
للناس يميناً ويساراً وقد علا صوتها :ابنى ياناس ضاع منى ..
.. يارب من يجده لا يرى مكروه أبدا فى صحته وأولاده .
كان صوتها عالي رنان ، كلامها واضح ، أما الناس فكانوا
يتجاهلونها كأنهم لا يروها اقتربت من صلاح



وهى تقول : يارب من يجئ لى بابنى ربنا يرضيه ويسعده
كان كمن رآها سابقا وجهها مألوف بالنسبة له ، وقف ينظر
لها ويسأل نفسه : هل رأى هذا الوجه قبل ذلك ،
اقتربت أكثر ، وهى تردد نفس الكلام نظر للصورة فإذا بها
صورة أيمن .

وكان قلبه انخلع من مكانه ، تراجع شاهقا شهقة غير
مسموعة، ينظر لها بفرع ، ثم انقلب يجرى بأقصى سرعة
توقف فجأة وقال : ألم يقل الدكتور صبرى أحاول أن اسألهم
وأعرف ماذا يريدون ؟

تماسك وعاد بحذر يبحث عن المرأة وسط جموع الناس فلم
يجد لها أى أثر . بحث يمينا ويسارا وعلى امتداد بصره فلم
يجدها، سأل الناس والبائعين لم يروها .

ركب المترو عائداً وهو يفكر : كيف لإمرأة أن تبحث عن
طفل ميت ؟ هل اذا تماكنت نفسى امامها وقلت لها أننى
رأيتة؟ هل كنت أستطيع أن اقول لها أنه مات؟ وأن شبحة

يظهر لى؟ وهل كنت لأصف لها شكله المرعب الذى ظهر

لى به نائما فى الفراش؟

لكن لماذا اختفت؟ هل يمكن أن تكون روح هى أيضا؟

وتعرف أنه مات؟ إذن لماذا تبحث عنه؟

عاد صلاح إلى المنزل وقد تحمس وذهب عنه خوفه وكأنه

يعيش فى قصة بوليسية يحاول حل ألغازها دخل فبدل ملابسه

وصنع طعاما وجاء بالطبق يتفرج على التلفازو يأكل ببرود وكأن

شيئا لم يحدث بل إنه ينتظر المزيد من الاحداث.

7.

عادت علياء ابنة الثلاثة وعشرين عام تفكر فى صلاح من جديد.. تتذكر حين كانت صغيرة ، تلعب فى الشارع أمام المنزل مع رغد أختها وبنات الجيران ، وتقفز، فوقعت على قطعة زجاج مكسورة ، فانجرحت قدمها وتدفقت الدماء .. كان صلاح قادم من مدرسته الثانوية مع أخيها محمود ورققاءه ، أسرع فقفذ حقيبته جانباً، وحملها فوق ذراعية وهرع بها إلى المستوصف سابقاً أخيها إلى ذلك ، تمت خياطة الجرح ، ولف الطيب قدمها بالشاش والأربطة الطبية ، أعادها صلاح بنفس الطريقة يحملها فوق ذراعيه الاثنتين.. لم تشعر بألم الجرح ولا بألم الخياطة التى تمت ببنج موضعى.. كانت خلالها تنظر إلى صلاح بين حين وآخر ، كأنها تراه لأول مرة، فيطمئننها ويربت عليها، لم تكن خائفة كما ظن وإنما كانت تسأله بعينيها عن هذا الشعور الذى نبت داخلها ؟ ما هذا الذى يجعلها لا تشعر إلا برغبة عارمة

فى أن يحملها مرة أخرى؟ ثم يجعلها كل يوم تتمنى أن تنجرح مرة أخرى أمامه؟ بل إنها حاولت لكنها فشلت .. ماهذا الذى يشعرها بأنها دائماً تفتقد شيئاً ما منذ تلك الحادثة .. يجعلها لا تريد إلا الإقتراب منه . الإقتراب إلى الدرجة التى اختبرتها حين كانت تسمع دقات قلبه ولهائه وهو يجرى بها إلى المستوصف .. إلى الدرجة التى كان يحس جسدها بصدرة يعلو ويهبط ملتصقا بضلوعها .. إلى الدرجة التى كانت ترى حبات عرقه عن قرب ، ترى شاربه أصفر خفيف متفرق قد نبت كالزراع الصغير .. كانت ترى خوفه عليها وحرصه البادى فى اهتمامه فى أن يصل المستوصف فى الوقت المناسب ، للدرجة التى ترى رجولته فى اندفاعه نحوها قبل أخيها وشعوره بالمسئولية وكأنه من أصابها ..

كل ذلك؟ طفلة فى الثامنة من عمرها كانت لا تهتم إلا بالمذاكرة وشرائط شعرها ولعبة "الأولى" المذى أصابها لتكبر عشرون عام؟ وتعى كل ذلك جملة واحدة؟ وتصبح مهمومة ،



تبكى إن مر أمامها دون أن ييتسم لها أو يكلمها ، تبكى أن
رأته مهمومًا ، تبكى إن مرض ، تبكى لبكاءه حين ماتت
جدته ، وتبكي حين تتذكر كيف أصبح وحيدًا يتولى شؤون
نفسه، وكأنها انجبتة،

تتسمع أخباره من محمود ، تتوسل لأمها أن تبعث له بطبق
من طعامهم تضحك أمها وتقول : قلبك حنون.. تصور يا أبو
محمود علياء مشفقة على صلاح منذ يوم وفاة جدته بين يوم
والثاني تذكرني أن نسأل عليه أو نرسل له طعام أو نطلب
ملابسه المتسخه نغسلها ويرد أيها : فيك الخير يا ابنتى..

تمر ثمانى سنوات وتلتهم الثانوية العامة وقتها وتفكيرها
ويتخرج صلاح ويعتمد على نفسه فيرفض مساعدات الجيران
حتى المساعدات المادية التى كان يتلقاها من عمه سالم بعد
أن بدأ يعمل فى وظيفة ثابتة وفرها له عمه مستعيناً ببعض
معارفه.

لم أعد البنت الصغيرة التى تطرق باب الجار لتعطيه طبق من صنع يد أمها.. كم تمنيت لو أطعمه من صنع يدي لقد تعلمت الطبخ من أجله،

انتهيت من الثانوية العامة ، ودخلت الجامعة .. رأيت أننى أصبحت مناسبة للخطبة ، ربما يأتى صلاح فيطلب يدي من أبى او أمى، لكننى فى السنة الأولى من الجامعة فقدتهما فى حادثة لقد أصبحت مثلك ياصلاح يتيمة.. مع فقد الأبوين - مهما كان سنك -تشعر وكأنك فقدت نصفك فأصبحت تمشى بشق واحد .. حتى مع وجود الإخوة والأخوات الذى تشعر بهم وكأنهم صورة مُقلدَة غير متقنة للأب والأم ، لكنها تذكرك بهما وربما يعوضك بعض الشئ بعض ودهم.

لكن من ليس له أخوه مثل صلاح ترى كيف يشعر؟ إن تزوجته سأصير له كل شئ أمه، حبيبته، زوجته،أخته، صديقته .. كما أن شهامتك وحنانك تقولان أنك ستعوضنى فقد أبوى وستملاً حياتى بالسعادة والحب والأطفال..



لكن هذه السنه لا تريد أن تمر قبل أن تسقيني مرًا فوق مر
وحزنا فوق حزن ، لقد جلس معى محمود أختى فى جلسه
ودية طيبه كان قد مر على وفاة ابوينا ثمانى أشهر قال : قومى
يارغد اعملى لنا شأى من فضلك

كانت رغد صغيرة لا تنزل فى الصف الاول الثانوى ، وبهدوئها
المعتاد وطاعتها المفرطة قامت متوجهة الى المطبخ..لقد
خبلت وأحمر وجهها مجرد أن فهمت أن محمود يحتاج أن
ينفرد بى وأن وجودها غير مرغوب فيه ..غريبة هذه البنت..
تشعر بالخجل من مواقف لا تستدعى ذلك.. ويحمر وجهها
سريعا ..تلقى اللوم على نفسها دائما وتعتذر سريعا على خطأ
لم ترتكبه..لا أعرف هل عندها عقدة ذنب أم أنها منعدمة
الثقة فى نفسها ..حاولنا كثيرا أنا ومحمود كما حاول أبواي
سابقا تشجيعها ..دون جدوى اعتقد أن عندها مشكلة نفسية
بدأ محمود بمقدمة يخبرنى فيها أنى جميلة وأنى صغيرة
والمستقبل لا يزال أمامى وسيكون جميل وستقابلين أناس

كثيرين ..قلت فى نفسى : ترى ماذا يريد أن يقول؟ إن
مقدمته تشبه العزاء ، قال جملة لا أستطيع نسيانها.. :لا
تفكرى فى صلاح ياعلياء، صلاح يحب بنت عمه نهى
.إنسيه.

ثم أكمل تعزيتة ومواساته لى، كدت أموت حزنا وخجلا،
حزنا من هذا الخبر، وخجلا أنى اكتشفت أن محمود يعرف
حقيقة مشاعرى تجاه صلاح.

حاولت عبثا إخباره أنى لا أفكر فى صلاح أو غيره ، غير أنه
انتقل إلى جوارى وربت على ،قبل رأسى وأخذنى بين أحضانه
، وقال : أنا أخوكى ،أشعر بك، فاستسلمت وبكيت فى
حضنه . حينها علمت شيئين أولهما أن الأخ هو الدرع الواقى
،وأن حنانه لا يفوقه إلا حنان الأم ، وثانيهما أن صلاح ليس
لى ، ولا جدوى من الإنشغال به ،

لكن القلب تلميذ متمرّد لا يسمع ولا يطيع



ها أنا ذا انتهيت من الجامعة وعملت بالتدريس ولا يزال
يراودنى أمل أن ينتهى حبه لابنة عمه ، وأن يتقلب قلبه فيفيق
على حبي ، أليس يقال أن القلب سمي ذلك لكثرة تقلبه؟
لقد تأكدت أن هذا الأمل لن يموت إلا بزواجه هو لا أنا ..
لن أظلم أحد مرة أخرى معى مثلما ظلمت أسامة الذى تمت
خطبتى إليه فى السنة الرابعة ولم تمر الستة أشهر حتى
أعدت إليه خاتم الخطبة

-8-

صحا من نومه فرعا أمسك بالموبايل ليعرف الوقت الساعة الثالثة صباحًا.. عرف أنه نام على الأريكة أمام التلفاز .. أمسك بالريموت وأغلقه .. جلس يتذكر ماحدث بالأمس فى الحسين والمرأة التى شاهدها تبحث عن أيمن.. سمع صوت من داخل حجرة نومه، كان صوت أيمن ينادى عليه وكأنه يستغيث : صلاح . ياصلاح .. فزغ فانفض واقفا، كاد يفتح باب الشقة ويطلق قدميه للريح لكنه تشجع.

قال : يجب أن أواجه ..مشى ببطئ إلى الحجرة وهو يهمس : استر يارب .. استر يارب .. وصل إلى الحجرة ضغط على زر الأنارة وجد جثة أيمن ممددة بحالتها التى رآها سابقا ، وجهه ملئ بالكدمات والجروح التى يخرج منها الدم والصدید ، عينه المنتفخة.. تمالك نفسه وأسند يده إلى الحائط وقال : لن أستسلم للأغماء، لن أهرب مسرعًا، لن أصرخ وأنادى الجيران ، سأذهب إليك وأمسك .. اقترب مرتعشا من



السريـر يحذر وبطئـى وامتدت يـداه الأثنتين ليلمس أيمن لكنه
يصحو من نومه فزعا يجد نور الصباح قد ملأ المكان ..
طـرقـات على الباب ينهض جالسا يتلفت حوله يتحسس مكانه
فيجد نفسه نائماً على السريـر سأل نفسه وهو متجها ليفتح
الـباب : لو كنت أحلم فكيف انتقلت من الأريكة فى الصالة
إلى السريـر فى حجرة النوم؟ وكيف أُغلق التلفاز؟

فتح الباب وهو يكاد يفتح عينيه ليجد أم أيمن أمامه تقول له
باسترحام : فين أيمن؟

صرخ وأغلق الباب وأسند ظهره إليه وقد فتح عينيه إلى
آخرهما فزعا وهلعاً وهويلهث متعجباً ، علا صوته .. اااااه..
لماذااااااااااا؟ لماذا أنا ماذا تريدون منى ي ي ي ي ي ي؟

ثم استجمع شجاعته وإصراره واستدار ليفتح الباب، فلم
يجد شيئاً .. دائماً شجاعتي تأتي متأخرة.. خرج من باب
الشقه ينظر يميناً ويساراً ينظر فى اسفل السلم صعد إلى
السطح لم يجد شيئاً نزل مسرعاً نظر من النافذة وجدها

تمشى فى آخر الشارع بجلبابها الريفى الأسود ، انطلق خلفها حافي القدمين يرتدى بنطال نومه و"فانلة حمالات" زرقاء اللون حتى وصل إليها تباطئ وقال فى نفسه ؟ ها أنا ذا وجدتك .. لن تهربى منى هذه المرة .. لن أدعك حتى أفهم كل شئ، وأفهم ماذا تريدان اقتربا منها وأمسك كتفها ، إلتفتت إليه وجدها امرأة أخرى.. تعجبت وضربت ظهر يدها بكف الأخرى وقالت بشئ من الغضب : من أنت ؟ وماذا تريد ؟

• أنا آسف.. حسبتك امرأة أخرى.

• نظرت المرأة إلى هيئته وقدمية الحافيتين وقالت غير مصدقة : امرأة أخرى ؟ .. واستدارت فى طريقها وهى تقول

لعن الله الحشيش ومن صنعه ما يضيع الرجل مثله

• قال : حشيش؟! ..

عاد صلاح إلى شقته ومأن أغلق الباب ووقعت عينيه على طاولة الأنترية حتى لمح خطاب قديم يشبه الأول تماما ،



أخذه بسرعة وفتحته قرأه نفس المضمون امرأة تشتكى لإخيتها
من زوجها الذى يضربها ويضرب أولادها كلمات مبعثرة
وبعضها ممحى.. غير أنه تسمر فالإمضاء هذه المرة واضح
(أم أيمن)

هنا علم صلاح أن من تبعت هذه الخطابات هى أم أيمن
، أدرك أن الأمر ليس هين ، أن هناك لغز كبير، وأن هذه
الأرواح اختارته لحل هذا اللغز، ولن تستريح وتتركه إلى
عالمها حتى يحل هذا اللغز.. لكن كيف ؟ ومن أين

9.

قالت إحدى زميلات "دعاء" : لا يمكن يادعاء أن يستمر
الوضع هكذا ؟ كيف تسكتين على ذلك ؟

وردت الأخريات يوافقنها على ما قالت : نعم يجب أن يكون
هناك حل.. بمعدل كل شهر تقريبًا يأتي ليبتزك ويطلب منك
المال ، هذا حرام ..

قالت أحدهن لمن لا يبدي رأيه إلا إذا سئل : ألا ترى ذلك
يأستاذ عبد الله؟

قال : نعم . هذا الرجل نذل جبان ، كلما طاوعته تمادى
.. لقد جاء ابتزازه بشماره ، يهددك فيحصل على المال
.. فلماذا يتوقف؟

قالت : وما الحل يا جماعة من وجهة نظركم؟ لقد سمعتم
تهديده بأنفسكم.. ، أنه يهددني بالتشهير وأن يسوء سمعتي
التي هي رأس مالي ، ويأخذ أطفالى وهم الهواء الذى أئنفسه.



قالت إحداهن : صدقيني هو يهددك فقط ، هو لا يستطيع
الإنفاق عليهم ، لا تشعريه أنهم نقطة ضعفك.
وقالت الأخرى : أعطيه الأولاد وقولي له (أنت أولى بأولادك
لم أعد أستطيع الإنفاق عليهم) ، وسيعيدهم لك فى خلال
شهر ويبتعد عنك ويكف عن ابتزازك..

وتعالت أصوات الباقيين : نعم .. نعم .. هذا رأى صواب
تنهدت دعاء وقالت : لقد فكرت سابقًا فى أن أعمل ذلك ،
لكننى تراجعجت .. هذا مجرم نذل لا يعرف الرحمة ، وهولا
يملك المال وحينها سيعرف أننى أحاول تعجيزه ، ويصب
غضبه على أولادى فيضربهم ويعذبهم وينتقم منهم ، وكم من
قصص سمعناها وقضايا نشرت على صفحات الجرائد
والسوشيال ميديا، وعلى شاشات التلفاز عن أباء يضربون
أولادهم من زوجاتهم السابقات إنتقاما من أمهاتهم، فيجعلون
بهم العاهات المستديمة والكسور والإصابات الجسدية البالغة
.. ومنهم من لم يتحمل جسده التعذيب فيموت.. وربما لا

يعيدهم بعد شهر، بل يعتبرهم مصدر لكسب المال ،
فيخرجهم من المدارس ويدفع بهم إلى التسول ، و مسح
السيارات ، أو يبيعون المناديل وعقود الفل بالإشارات ،أو
العمل بورش الميكانيكا ليحبون له المال ..وحينها لن
أستطيع مطالبتة بأولادى أبداً ،فأنا الذى رميت بهم إليه ، أنا
من تنازلت عنهم ، سيقنعهم أنى أكرههم وأنى لا أريدهم
ليضمن عدم عودتهم لى.. لا لا هذه حيلة يمكن أن تضيع
أولادى للأبد ..

يسود الصمت والوجوم لتقول أحداهن : معك حق ..حافظى
على أولادك وسيعينك الله على تربيتهم ورعايتهم ..ويعوضك
خيرا إن شاء الله .

ويؤكد الباقيين بصمتهم على موافقتهم على هذا الكلام.

10.

جلس صلاح يفكر واضعا يده على خده ، يضع الميدالية والخطابين أمامه على الطاولة يقلبهم حين ويضعهم حين آخر ويعود فيضع يده أسفل ذقنه ، يلتقط كل خطاب على حده يقرأه ويعاود قراءته ، يضعه في المظروف ثم يضعه على الطاولة أمسك الخطاب الأخير دقق النظر في المظروف فوجد خاتم قديم لمصلحة البريد حاول قراءته لكنه غير واضح قام فاحضر العدسة المكبرة وجلس مكانه وضع المظروف على الطاولة وفتح فلاش الموبايل وقربه وقرب العدسة وقرأ (جزائر عيسى)

أسرع بلهفه إلى موبايله يفتح محرك البحث جوجل ويبحث عن هذا الاسم) جزائر عيسى (فقرأ بصوت عال : قرية جزائر عيسى هي إحدى القرى التابعة لمركز الدلنجات في محافظة البحيرة بجمهورية مصر العربية

أرجع ظهره للخلف وأمسك بذقنه يفكر .. ثم اتصل بأحد زملاء العمل يطلب منه ابلاغ رئيسه بأنه فى اجازة لمدة يومين

يستقل صلاح القطار المتجه الى مدينة دمنهور عاصمة البحيرة عاقدًا العزم على كشف هذا اللغز وفى الميكروباص المتجه من دمنهور الى مركز الدلنجات جلس إلى جوار النافذة يشاهد المزروعات وهو يستعيد طيلة الطريق كل الاحداث التى مر بها ، يتحسس الميدالية والخطابين فى جيبه .. يحدث نفسه : أنا اتجه الآن إلى قرية فى محافظة أخرى ، لا أعرفها ولم أزورها من قبل ، ولا أعرف أحد فيها ، ابحث عن ولد وأمّه كانا يعيشان فيها منذ ثلاثون عاما .. لا أعرف عنهما شيئًا الا اسم الولد (أيمن) وما أكثر هذا الاسم .. الناس ينسون الأحداث ، يأتى خبر لينسيهم الخبر السابق حتى يذكرهم أحد به ، أما إن كان الخبر منذ ثلاثون سنه فحدث ولا حرج ههههه، هناك من مات ومن عاش ومن ترك



القرية ومن أصابه الزهايمر.. أنا كمن يبحث عن إبرة في
كومة قش أو سمكة صغيرة في محيط ربما صادها الصياد أو
إبتلعها القرش ، لكننى ليس أمامى إلا المضى قدماً فى هذا
الطريق الذى لا أعرف غيره على أن التقط طرف خيط يصلنى
بالحقيقة .. وفى مدينة الدلنجات أشار له أحدهم إلى
سيارات نصف نقل مغطاه تقف خلف بعضها البعض ينادى
أمام الأخيرة منهم فتى صغير باسم القرى التى يمرون بها
ومنهم (جزائر عيسى)

-11-

تمشى دعاء مع أقرب زميلاتها إلى قلبها بعد انتهاء العمل ،
لتمر على حازم فى المدرسة ، تصطحبه إلى البيت .. قالت :
كنت أود أن أشترك فى " الجمعية " لأشترى سيارة صغيرة
أوصل بها حازم للمدرسة وأذهب بها إلى عملى ، تعبت من
المواصلات ، لكن استنزاف الوغد فتحى الدائم لى يجعلنى
غير مستطبعة ..

ردت صاحبته : حينما أقبض نقود الجمعية خذيتها يادعاء
وسدديها لى على مهل .

- لا يا حبيبتى أنا أعرف ظروفك أنت تحتاجينها أيضا .. لا
عليك سيفرجها من لا تغفل له عين .

- قولى لى يادعاء .. كيف تزوجتى هذا الحيوان .. سامحيني
خسارة فيه كلمة إنسان



- لا عليك .. والله الحيوانات أرحم منه على الأقل لا ترمى
صغارها ..

واستطردت : كنت صغيرة وجميلة

تقاطعها : ولا تزال جميلة على فكرة

تبتسم دعاء وتكمل : تقدم لى الكثير من الخطاب ، كنت
أرفض وأتعالى عليهم ، ولا أتسامح مع عيوبهم الصغيرة غرنى
جمالى .. حتى نفرالخطاب منى ولم يعد أحد منهم يطرق
بابى، بدأت أشعر بالوحدة ، لكننى كابت وقلت : من
يستحقنى لم يأتى بعد .. أكيد فارس أحلامى سيأتى يوماً ما
.. وقابلت فتحى كان يعمل فى ورشة ميكانيكى سيارات قال
لى كذباً أن الورشة ملكه .. وأنه أعتمد على نفسه منذ الصغر
فحصل على دبلوم الصنایع وشق طريقة فى العمل والحياة
حتى بنى نفسه بنفسه واشترى ورشة السيارات هذه .. واشترى
شقة .. كان يتكلم بلباقة وبأسلوب حسن ، كنت أحب أن
أسمع إطراره ومدحه لى الدائم .. وبأنى ، وأنى .. كنت اشتاق

لمثل هذا الكلام بعد أن اتعبنى انتظاره .. أعجبنى أسلوبه ،
انبهرت بقصة كفاحه الكاذبة ، أَرْضَى مدحه غرورى ..
أحبيته . أو ربما ظننت ذلك ..

كانت صديقتها تسمعها باهتمام :

أكملت : عارضنى أهلى بشدة .. قالوا أنتى جامعية هناك
فرق فى الثقافة ، لن تستطيعين التعامل معه .. وربما يدفعه
إحساسه بالنقص لمعاملتك معاملة سيئة

قلت لهم : ثقافته فى رأسه وشخصيته لا فى الورق
والشهادات .. ولا ذنب له فى تعليم يقيس الذاكرة لا الفهم
ويقوم على الحفظ

صديقى عيبه لم يكن التعليم المتوسط أو الفقر ، وإنما
الكذب الذى استحلنى به ، وقلة الدين ، وانعدام الرجولة
والذوق والإنسانية ..

حاولوا كثيراً إثنائى عن الأمر ، قالوا لى أنه غير مريح كما قال
لى ذلك أصدقائى وجيرانى .. لكن ويل للمرء من تشبته بما



يجهله ويراه غيره عين اليقين .. حينها بحق تعمى البصيرة
وتعمى العين عن العيوب والمهالك المتوقعة، وتصم الأذان
عن النصيحة ..

بعدها أكتشفت أنه خدعنى بكذبه وحلو حديثه .. وما أكثر
الكلام الحلوعلى لسان شياطين ..

فالورشة ليست ملكه بل يعمل بها يوم ويغيب أيام .. ، والشقة
إيجار .. وكلامه الحلو تحول للقبح والبذاءة

وسلوكه تحول للدناءة والندالة .. فأيام كثيرة كان يعتمد على
راتبى فى الإنفاق على البيت .. مفضلا النوم والتكاسل على
الذهاب للعمل .

- لماذا لم يسأل أهله عنه قبل الزواج؟

- أخى خالد ذهب فسأل عنه الجيران فى الشارع الذى
يسكنه .. لكن ماكذب به على كان يكذب به على جيرانه
فالكل كان يعرف أن الورشة والشقة ملك له ، وأنه يعيش
بمفرده .. لا يختلط بأحد ، وهذا كل مايعرفوه ..

- أسمحى لى . ولماذا أنجبتى منه؟ .. لماذا لم تتركه منذ البداية؟

قالت : لم أكن أعرف كل هذه المعلومات فى السنة الأولى..وقد حملت فى حازم بعد الزواج مباشرة .. بعدها كنت أعرف المعلومات معلومة تلو الأخرى ..صدمت وحاولت عبثا تغييره بشتى الطرق .. كنت أخفى عيوبه عن أهلى.. خجلت أن أصارحهم أو أعود لهم مطلقة، لأنى تمسكت به رغم تحذيرهم..ولذلك كنت أبذل قصارى جهدى معه لإصلاحه وأنا كلى أمل أن حاله سيتغير وخاصة مع وجود الأبناء ..أربع سنوات ثم جاءت نورا ..بعدها عرفت أنه مدمن للحشيش والبانجو..فتأكدت أنه لا رجا يرجى منه.

استجمعت شجاعتى وصارحت أهلى :اعترفت لهم أنى نادمة.. وأنه كان ينبغى لى أن أتانى وأخذ بنصيحتهم .. عاتبونى على صمتى وتحملى ، قالوا لى أنهم أهلى ،فرحى



فرحهم ، وحرزنى حزنهم.. لا يمكن أن يشمتوا فى أو يلقون
على باللوم والتقريع .. وأنهم وإن فعلوا ذلك فهو أهون أن
أكمل حياتى فى تعاسة .. حينها ندمت أنى تحملت كل هذا
وأنى لم أبلغهم منذ البداية ..

لم يطلقنى بسهولة .. اضطررت لرفع قضية خلع ، قال لى
رجل دين أن الخلع لا يعد طلاقاً إلا إذا نطق بكلمة الطلاق
.. باع أبى قطعة أرض صغيرة يمتلكها ليدفع له ما طلب ..

-12-

ينزل صلاح ..يمشى فى طرقات القرية لا يألو على شئ ، لا يعرف من أين يبدأ وكيف يتحرى .. حتى سمع آذان الظهر فتوجه إلى الجامع مهتدياً بصوت الأذان قال : أصلى أولاً
ولسوف يهدنى ربي إلى خير السبل.

انتهى من صلاته وجلس يسبح ويدعو حتى فرغ المسجد إلا
من الإمام " الشيخ ابراهيم " فتوجه نحوه

السلام عليكم

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته اتفضل يا بنى اى خدمه؟
والله يا شيخنا انا غريب

لم يكمل صلاح كلمته حتى قام الشيخ مرحبا : يامرحبا
يألف أهلا وسهلا . أخذه من يده ..تعالى تعالى أهلا
وسهلا.. تفضل

-انتظر ياسيدنا الشيخ.. ليس هذا ما قصدت.. انا أريد أن
أسالك عن شئ



يرد الشيخ وهو لا يزال يمشى ماسكاً بيد صلاح :
تستريح أولاً من عناء السفر ، وتأخذ واجب الضيافة ثم أسأل
كما شئت .

استسلم صلاح وتوجهها لمنزل الشيخ ، منزل ريفى حجرى
نظيف يعمه الهدوء . فى الصالة تجلس على أريكة امرأة
طاعنة فى السن ربما تكون أم الشيخ أو حماته .. أدخله حجرة
الجلوس وأغلق الباب وذهب ..

غاب الشيخ قليلاً فى الداخل ثم عاد ، جلس وهو يردد
عبارات الترحيب ثم التعارف ، طرق الباب غلام ودخل يحمل
صينية عليها كويين من الشاى وطبق به بعض الفطائر

سأله الشيخ ابراهيم :

خير يابنى ، ماهو الموضوع الذى أردت سؤالى عنه؟
هم صلاح أن يقول شيئاً لكنه صمت .. لا يعرف ماذا يقول
أو عن ماذا يسأل : هل أسأل عن طفل اسمه ايمن؟

أنا لا اعرف اسم أبوه أو عائلته ، هل أسال عن أم تبحث عن
ابنها التائه منذ ثلاثين عاما ؟ ماهذا الهراء ؟ كانت فكره
حمقاء أن أتى إلى هذه القرية.. ماذا أقول للرجل الآن؟

يلاحظ الشيخ شروده ، خجله

: لا تخجل يابنى . اسال

هل تريد فتوى شرعية فى أمر ما؟

- لالا الأمر ليس كذلك.. الحقيقة الموضوع مبهم ، فأنا لا

أعرف من أين ابدأ أو ماذا اقول .. أنا أبحث عن أشخاص

- أشخاص ؟

يفكر قليلا ثم يقول: أنا ساحكى لك كل شئ من البداية

للنهاية لكن ترى هل تصدقنى ؟

قل ياولدى سأصدقك طبعًا إن شاء الله ..ولماذا أكذبك؟ وهل

سافرت السفر الطويل هذا لتكذب ؟



بدأ صلاح يحكى للشيخ إبراهيم كل شئ بالتفصيل وأراه الخطابات والميدالية .. كان الشيخ يسمعه باهتمام شديد وكله آذان تصغى حتى انتهى فاعتدل فى جلسته وقال:

سبحان الله حكاية عجيبة

- هل تصدقنى ياشيخ؟

- طبعا ياابنى أصدقك

أنا قلت آتى بنفسى إلى القرية المكتوب اسمها على خاتم البريد عنى أصل إلى شئ ..

فكر الشيخ قليلاً ثم قال : والله ياابنى أنا لا أستطيع إفادتك ، فقد قضيت جامعتى فى القاهرة لأنى كنت أدرس فى كلية أصول الدين ولما تخرجت تزوجت قريبتى وأخذت أسرتى وسافرت السعودية ، قضيت هناك حوالى عشرون عاماً ، فلا أعرف الكثير عن أحداث القرية .. كنت أسمع أطراف الحديث فقط عن من تزوجت فلان أو تطلقت من فلان أو

من مات فى حادثة أو من هربت من أهلها لكن ليس عندى
تفاصيل عن طفل مات أوغيره مما تتحدث عنه.

هذا يعنى أننى لن أصل إلى شئ ، وأننى لم أجنى من مجيئ
هنا إلا مغبة السفر ..

صمت الشيخ قليلا يفكر ثم قال : لا هناك أمل،
العمدة القديم "الحاج سليمان" هو من يستطيع إفادتك إن
شاء الله

يستمع صلاح باهتمام.

يستطرد الشيخ :

هذا العمدة عمره ثمانون عامًا عاصرأجيال فى هذه البلدة ،
إلى أن كبر وتنازل عن منصب العمدة لأبناءه .. يعرف كل
كبيرة وصغيرة فى هذا البلد ، سجل مدنى متنقل ، عقله
يحمل ما يحمله الشهر العقارى من دفاتر.. يقصده الناس
يسألونه عن أصل الأرض المتنازع عليها كانت لمن ومن
يرثها.. وفلان يرجع أصله لمن ، وغيرها من الأمورالتي



يحفظها عن ظهر قلب دون أن يخطئ.. حتى أنه بدأ الآن

يملى ماعنده لولده حتى يرجعون إلى الدفاتر حال وفاته..

- وهل سنه وحالته الصحية الآن يسمحان بهذا ؟ هل لاتزال

ذاكرته جيده قال الشيخ مازحًا : أفضل منى ومنك

- إذن نذهب له حالاً

لا ياصلاح ياابنى ، فلنتبع الأصول نتناول طعام الغداء أولاً ،

ثم نرسل له نستأذنه فى الزيارة ، ونبلغه أننا سنشرب الشاي

معه بعد العصر..

قال مستسلمًا : كما ترى يامولانا

- والآن اتركك ترتاح قليلاً حتى ينتهوا أهل الدار من صنع

الغداء.

أغلق الشيخ الباب خلفه بينما تمدد صلاح على الأريكة ينظر

الى السقف ، يفكر فى كل شئ ثم قال : سبحان الله أحل

ببلد غريب ليس لى أحد فيها فأجد الطعام والشراب والراحة

، يستحق الثواب فعلا من يكرم عابر السبيل..

وقف أيمن بوجهه الجميل وابتسامته الهادئة إلى جواره وهو
نائم على الأريكة يربت على كتفه وهو يقول : جئت يا صلاح
؟ حمد لله عالسلامة

قام صلاح مفزوعا من نومه يفرك عينيه وينظر فى جوانب
الحجرة فلم يجد أحداً .. ثم وجد طرقا هادئا على الباب عقبه
دخول الشيخ يحمل صينية الطعام .

خرج صلاح والشيخ من المسجد بعد أدائهما لصلاة العصر
متوجهين لدار العمدة القديم "الحاج سليمان"

جلسا فى حضرة العمدة القديم ، ينتظران بترقب يشوبه يأس
جوابه عن سؤالهما عن امرأة شابة كانت تعيش فى القرية منذ
أكثر من ثلاثين عام .. لها أخ بالخارج يدعى نبيل وولد
يدعى "أيمن"

كان العمدة رجلا مسنا نحيفا خفيف الظل ، وجهه ويده
جارعليهما الزمن بالتجاعيد الكثيرة .. لا يزال له بعض من
هيبه ويبدو عليه الوقار والحكمة.. عيناه تحدقان بذكاء وانتباه
شديد..

ودون أن يسألها عن سبب سؤالهما فرك ذقنه شاردًا يفكر
يتذكر ليس الأشخاص وإنما الأحداث ..

قال: إيبيبيبية ذكرتنى ياابنى بزمن مضى .. "أم أيمن" نعم
أعرفها.

دق قلب صلاح وانتبه بكل جوارحه.

- يرزقها الله الخير إن كانت حية ويرحمها إن كانت ميتة

والله قاست كثيرًا

صلاح : اكمل أكمل ارجوك من هي؟ وكيف قاست؟ وكل
شئ تعرفه عنها.

كانت شابه مثل الزهرة اليانعة ، وحيدة أبويها رزقا بها بعد
سنوات وشوق للأطفال ماتت أمها وهي طفله ، فتزوج أباه
من أخرى أنجبت له نبيل، الذى هاجر إلى الخارج.. سافر
إلى ألمانيا ، ولم نره منذ ذلك الحين وخاصة بعد وفاة أمه ،
كان له عنوان بالخارج تصل إليه الخطابات من أصحابه أو
أخته كانت تقرأ وتكتب أما أمه فكانت تملئ أحد من الذين
يعرفون القراءة والكتابة ، لكن انقطعت أخباره ولم ندرى
أدخل السجن فى بلاد الغربية أم مات ، أم نسي القرية؟

صلاح : المهم أم أيمن ..

- تزوجت وأنجبت " أيمن " ..توفى والدها بعد زواجها بسنة
فأصبحت وحيدة..غصن مقطوع من شجرة ، لم يكن لها
أقارب..



لكن حظها كان سيئاً للغاية .. تزوجت رجل سكير ، يشرب
المخدرات سيئ الخلق ، كان يضربها بقسوة ويضرب أيمن ،
وكان يأتي بأصحابه يسهرون ويسكرون في منزله فكانت
تحبس نفسها في حجرتها..

وكانت تستجير بي أحيانا ، وبكل ذى عقل من أهل القرية
لكن ، كلامنا معه كان لايفيد.. إذ كان قليلا مايفيق من
سكره

جعلتها يوما تكتب شكوى رسمية وأمرت "الغفر" بالقبض
عليه وحولته إلى المركز.. عله يتأدب .

لكن إخوته كانوا يخرجونه بعد أيام إما بالضمان والتعهد وإما
بالمال ، ويجبرونها على التنازل متعهدين لها بأن يكف عن
إيذاءها فيجاريهم لتتنازل .. لكنه يعود أشد شراسة ، ويصب
جام غضبه وانتقامه عليها.

يرد صلاح : مسكينة.

ويستطرد العمدة القديم : ثم طلب منها أن تخرج للعمل فى القرية بالأجر قال لها : أغسلى الملابس ، أخبزي ، أجمعى المحصول ، افعلى أى شئ المهم أن تأتى لى بالمال . لينفقه طبعاً فى الشرب والمخدرات ، ولما رفضت ضربها ضرباً مبرحاً ، ولولا الناس حالوا بينه وبينها لقتلها ضرباً .

- ألم يكن يعمل

- كان يعمل بتجارة الفحم ..ساحة بيته كانت دائماً مليئة بأجولة الفحم الذى يبيعه ويستخدمه فى تدخين (الجوزة) ، لكن هذه التجارة لم تكن تدر عليه المال الوفير وخاصة فى القرية . كان يتكسب منها القليل وهذا لا يكفيه لشرب المخدرات

اضطرت لأن تقبل ببعض الأشغال فى القرية لتأكل وتطعم ابنها ..وفى غفلةٍ منها وهجمه منه ليحصل على حقه الشرعى عنوة حملت مرة أخرى وأنجبت طفل صغير كان عمره يقترب من العام حين اختفت ..



صلاح : اختفت؟

العمدة : نعم فى يوم من الأيام أتى بأصحابه ليسهروا ويسكروا عنده كالعادة ، فأيقظها لتعمل لهم الشاى وتخدمهم طيلة سهرتهم، فرفضت وخافت من هؤلاء السكارى أن يتناولوا عليها بالتحرش اللفظى أو اليدوى ، حملت طفلها الصغير وتركت أيمن نائمًا وفرت هاربه منه .. قضت ليلتها عند أحد الطبيبين من أهل القرية ، كان الجميع يعرف معاناتها ويتعاطف معها.

أقبل غلام يحمل الشاى ، وضعه أمامهم قال العمدة : تفضلوا تناول الشيخ كوبه بينما امتنع صلاح شاكرًا ، وقد علقت عيناه على وجه العمدة ينتظر باقى الحكاية ، وفى رأسه سؤال ملح : ماشأنى أنا بكل هذا ؟ .. لكننى مضطر .

قال : أكمل وماذا بعد ؟

سعل العمدة وأخذ كوب الشاى فرشف منه رشفه ووضع ثم قال : فى صباح اليوم التالى رجعت إلى المنزل فلم تجد أيمن

.. كان زوجها جالسا فى صحن الدار نصف نائم سألته عن
أيمن فقال لها : صحا من نومه فلم يجداك فخرج يبحث عنك
عند الجيران ولم يعد..

دارت المسكينة تبحث عنه فى القرية كلها وفى القرى
المجاورة

أيام وأسابيع وشهور ثم اختفت هى الأخرى فلم نعلم عنها أى
شئ

- أليس من الممكن أن يكون قتلها ؟

- لا

يقولون أنها لما يأست من أن تجد ابنها وتعبت من البحث
ولم تطق العيش مع زوجها هربت إلى (القاهرة)
بعض الناس رؤها بالفعل وقالت لهم انها تعيش مع سيدة
كبيرة فى السن تخدمها ..

تذكر صلاح رؤياه حين بات عند عمه ..أذن المرأة التى
كانت تجرى بطفلها ليلا على التربة خائفة هى أم أيمن ..



قال : طيب وزوجها ؟ أين ذهب ؟

قال العمدة : زوجها كان مصيره سئى للغاية، قتل واحد من أصحابه بعد مشاجرة بينهم بسبب لعب القمار ودخل السجن ، حُكم عليه بالمؤبد. فقد شهد رفقائه ضده أنه كان بينه وبين القتل خلاف وأنه سبق وهدده بالقتل.

أظنه خرج من السجن لقد مر أكثر من خمس وعشرون عام لكنه لم يرجع إلى البلد.. فاستولى اخوانه على منزله الطينى بعد سجنه فهدموه وبنوا بيتا بالطوب الأحمر ثلاثة ادوار وسكنوا به .

قال صلاح : لا يهمننا زوجها الآن هل يمكن لى أن أعرف من قال أنه قابلها فى القاهرة ؟ أمل أن تتذكر. وأتمنى أن يكون لايزال حى أريد أن أقابله .

فكرالعمدة : من قابلها .. من قابلها.. وظل يحك رأسه حين ويضع يده أسفل ذقنه حيننا آخر محاولا أن يتذكر ويقول : من

؟ من ياسليمان ؟ من ياسليمان؟

ثم قال : يتهيألى أن من قال ذلك هو " الحاج على أبو مرعى "

- وهل هو لا يزال حى ؟

- نعم موجود ستجده فى داره الآن هو موظف بالبريد ، يعود من عمله فى الثالثة.. هل أرسل معكم أحد يريكم الدار ؟ رد الشيخ إبراهيم .. لا أنا أعرفها شكرًا بارك الله فيك.

صافح صلاح العمدة وشكره وانصرفا.

وفى الطريق سأل صلاح الشيخ إبراهيم عن رأيه ، وعن ارتباط هذا الكلام بما يجرى له.

قال الشيخ : والله واضح أن هناك ارتباط قوى . كونك تجد الأشباح التى تطاردك أشخاص حقيقية " أيمن ، أمه ، نبيل " إذن معنى ذلك أنك لا تحلم ولا تتخيل وأنهم ليسو من الجن . أنا كنت مصدقك طبعاً لكنى الآن تأكدت .

صلاح : وأنا أيضا تأكدت . لكن يبقى السؤال : ماذا يريدون منى ؟ وأنا لست من بلدهم ولا كنت أعرفهم من الأصل



- ياصلاح ياابنى هم فى النهاية كائنات من العالم الآخر
روحهم معلقة ، غير مرتاحين فى مرقدهم ، لا حول لهم ولا
قوة استنجدوا بك كى تساعدهم أذن يجب أن تكون لها .

قال بصوت منخفض : استندوا على حائط مائل
ثم رفع صوته قائلاً : موافق ، على استعداد أن أفعل أى شئ
لأريحهم ليتركونى فى حالى ، لكن أعرف فقط ماذا يريدون
بالضبط .

ليس أمامى غير أن استمر فى البحث .
لماذا لم تفكر فى أن تبحث عن نبيل عن طريق السفارة
المصرية فى ألمانيا ؟

أبحث أولاً عن الأشخاص القريب مكانهم ، فإن لم أجد شيئاً
ربما اضطر إلى البحث عن شخص مقيم بألمانيا وأطلب منه
أن يسأل ، فأنا لست فى أمكانى السفر ..ربما نستطيع
الحصول على عنوان جديد لنبيل يجعلنى أرسله وأسأله .. إذا
كان على قيد الحياة .

تعجب الحاج على أبو مرعى من زيارة الشيخ ابراهيم وضيغه، وهاله قدومهم هذا ، وتوجس من هذه الزيارة، وبعد كلمات الترحيب سألوه عن بغيتهم ..

فقال : يااااااه هذا من زمن بعيد كنت أسافر مصر كثيرا وأنزل عند أصحابى من القرى المجاورة الذين يدرسون بالأزهر ويتخذون سكنا للعيش فى القاهرة وفى يوم أرسلونى لأحضر لهم الإفطار فول وفلافل وغيره فوجدتها تقف أمام المطعم تشتري إفطار أيضا كان هذا بعد اختفاءها بسنة تقريبا .

قالت انها تعيش مع سيدة كبيرة طيبة تخدمها ، وأنها بعد اختفاء أيمن ليس لها ماترجع له البلد . وأن قلبها حدثها أنه مات .

أقسمت علي ألا أبلغ زوجها أنى شاهدها ، وأن أكتم سرها ولا أحدث به أحد فى القرية ، وقد كان حفظت سرها حتى دخل زوجها السجن .. فذكرت الأمر لبعض أهل البلد .

- هل تتذكر المكان الذى قابلتها فيه



قال : اذكر المنطقة كانت (العباسية)

- ماذا ؟

- لكنى لا أعرف اسم الشارع اذكر فقط اسم محل الفول كان اسمه

(بالهنا والشفأ)

دق قلب صلاح بعنف ثم قال منفعلا: كيف ؟ هذا المحل قريب من سكنى .

، خجل من انفعاله وقال فى نفسه معقول ؟ هل كانت أم أيمن جارتى؟ تسكن قريبة منى ؟ ألهذا السبب اختارتنى ؟ هذا المطعم فى مفترق أربع شوارع لابد أنها كانت تسكن فى إحداها ..

عاد صلاح مع الشيخ متحمسا بعد أن علم أنها كانت جارته .. فلم ينم ليلتها إلا نوما متقطعاً، تغلبه الصور المتلاحقه ، يتخيل أم أيمن تشتري الخبز والخضر والفاكهة من نفس المحال الذى يشتري منها.. هل رأيتها وأنا طفل اشترى

الحلوى من البقالة ؟ ألهذا السبب شعرت حين رأيته فى
الحسين أنى رأيته قبل ذلك؟ لابد أن أسأل عنها وأعرف
النصف الآخر من حكايتها وما جرى لها بعد أن سكنت
القاهرة وكيف ماتت .. حينها ربما أعرف لماذا تظهر لى ،
ولماذا روحها عالقه هكذا. لكن ماذا عن أيمن؟

فى الصباح طلب صلاح من الشيخ أن يرى منزل أم أيمن
فقال الشيخ : لا ياصلاح ياابنى كما سمعت سكنه آخرون
الآن.. إخوان زوجها بعد أن هدموه وبنوه فما الهدف من
رؤيته.

شكر صلاح الشيخ على ضيافته واستأذنه أنه ربما يحتاج لأن
يعود إلى القرية مرة أخرى . قال الشيخ : استحلفك بالله أن
تفعل وألا تتردد فى طرق بابى .. إن بيتى مفتوح لك فى أى
وقت.

كانت رغد في الدرس الخصوصي حين توجهت علياء إلى
المكتب الذي تجلس إليه حين تذاكر، تقلب في دفاتها
لحاجتها إلى بعض

الورق الفارغ

تقتطعه من كراسة لا تحتاجها، فوقعت عينها على كشكول
كبير مكتوب عليه "مذكراتي" فابتسمت وقالت: هذه البنت
الصغيرة التي لا تزال في الصف الأول الثانوي والتي تخجل
من النسيم الذي يداعب وجهها ماذا رأيت في الحياة كي
يكون لها مذكرات؟ ، ثم قالت لنفسها لما تسخرين يا علياء؟
ألم تحيين صلاح وأنت في الثامنة من عمرك؟ ربما أحببت هي
الأخرى شخص حين كانت طفلة صغيرة، بدأت تقرأ
مبتسمة.. في الصف الأول الابتدائي حدث كذا وكذا وفي
الثاني تشاجرت مع فلانة، وفي الثالث سرقت إحداهن كراسة
الحساب لتوقع المدرسة على العقاب. ضحكت ووجدت أن

الكلام مسلى فاستمرت ، ولما وصلت لمذكرات رغد فى الصف الرابع هالها ماقرات حتى أنها جلست على الكرسي تعيد ماقرات غير مصدقة .. كنت طفلة لم اتخطى عامى الثامن حين بدأت أدرس فى الصف الرابع الإبتدائى .. فرحة أحب الحياة والمدرسة والمذاكرة والمدرسين ، كنت جميلة الشكل بيضاء نظيفة أذهب إلى المدرسة بهيئة راقية ، ملابس مرتبة نظيفة ، مريلة زرقاء ، شرائط بيضاء تزين الشعرالمجدول وحذاء أسود لامع يسبقه جورب شديد البياض .. كان مدرس الفصل يبلغ من العمر حوالى الخامسة والثلاثون عاماً .. شاب ظريف الشكل خفيف الظل كنا نحبه جميعا وكان يمازحنا ، ويقيم لنا المسابقات والرحلات ، لكن لهذا الوجه الجميل وجه آخر قبيح كل القبح ، لم يره من التلاميذات غيرى .. فى البداية كان دائما يثنى على شطارتى وملابسى النظيفة ويكافئنى ، ويجعلنى أساعده ، أمليه الأسماء والدرجات ليقيدها فى دفتر أعمال السنة ، أو أحضر له الكراسات من



حجرة المدرسين ، وأحيانا يطلب منى أن أقف إلى جواره وهو يصحح دون أن أعمل شيئاً.. كانت مقاعد التلميذات أمامه حين يجلس إلى مكتبه الذى كان ملتصقاً بالحائط إلى جوار النافذة فى الطابق الأول ، يفصلها سور المدرسة عن ظهر مبنى ضخم .. قال لى مرة : انتقلى إلى شمالى حتى لا تضايقى يدى اليمين أثناء الكتابة فامتثلت للأمر ، لكنى فوجئت به يمد يده اليسرى أسفل المكتب ويتحسس جسدى وكلما ابتعدت قربنى بهدوء كان يفعل هذا كل مرة وأنا متضايقه لا أعرف ماذا ينبغى لى أن أفعل.. لم أخبر أمى وأختى .. لم أخبر أحد . كنت أخجل كثيراً ، أخاف أن أخبر أمى فتخبر أبى ويوقعان علي العقاب ، كان أبى يخيفنى بعينيه التى يوسعهما عن آخرهما وينظر لى غضبا وشزراً إن أخطأت ، وبصوته الغليظ حين ينهرنى ويقول لى : (اسمعى كلام أمك)، كانت أمى تضربى إذا كسرت كوباً ، وتنبذنى إذا ضيعت شيئاً هاماً ، أو أفلت طبق الطعام فوقع على

السجادة النظيفة فاتسخت ، تجعلنى أجلس فى ركن الحجرة على الأرض تجئ وتروح وتدخل الحجرة وتخرج وهى لا تكف عن التوبيخ والتفريع ونعتى بالمهملة ، والقدرة ، التى لا تستحق الملابس التى ترتديها أو اللقمة التى تضعها فى فمها.. كنت أفضل الموت عن إخبارها.. يوماً ما قررت ألا أنفذ طلبه وأن أظل ناحية اليمين فهذا المكان يراه كل التلاميذ ولا يمكنه فعل مايفعل .. نادانى فوقفت إلى يمينه فأشار جهة اليسار وقال : تعالى إلى هذه الناحية فقلت له : لا سأظل مكانى .. ، فاحمر وجهه غضباً وصمت ، ثم طلب أن يرى كراستى وقال بغضب لماذا تشخبطين فى آخروقة من كراستك وتمزقين منها ورقاً؟ وأصرعلى ضربى عشر ضربات على يديّ الصغيرتين، .. ظللت افركهما وأبكى طيلة اليوم . وفى اليوم الثانى استسلمت لما يفعله ، حدث ذلك مراراً كنت أكرر الرفض فيكرر الضرب ، مرة على قدمى مرة على يداي ، مرة فوق جسدى وظهرى ،.. بدأ يستخدم



سلاحًا آخر ، فقد هددنى بالفصل من المدرسة وكنت أظنه يستطيع فعل ذلك ، لفق لى الأسباب ، زجرنى ، أهاننى ، ضربنى بالعصا على أجزاء متفرقة من جسدى، رمى بحقيبتى المدرسية أرضًا وجذبنى قائلاً : هيا إلى الناظر سأفصلك من المدرسة لا تأتى إلى المدرسة مرة أخرى.. قاومت جذبه وأنا منهارة أصرخ وأبكى فوقعت وهو لا يزال يقبض على يدى الصغيرة.. أمسكت بساقه أتوسل إليه ألا يفعل وأنا أبكى وهو يجرنى .. ثم عفا عنى ، آملا أن يكون قد ملأنى رعبًا ، وأن لا أعارضه مرة أخرى ، وقد كان له ماكان .. لا يقعد ليصحح الكراسات إلا وكانت يده اليمنى تصلى واليسرى تسجد للشيطان.. حتى من الله على بالفرج فمع اقتراب أجازة نصف العام .. صعدت إحدى السيدات التى كانت تسكن المبنى المجاور على كرسى لتنظف نافذة المطبخ فرأت جرمه ، ولما كانت بناتها فى المدرسة تقدمت بشكوى إلى إدارة المدرسة .. وبدأ التحقيق معه ، لم أكن أعرف ماذا حدث

حينما دخلت السيدة الفصل وأشارت إلى فأخذتني الإخصائية الإجتماعية إلى مكتبها وسألتنى فبكيته وأنكرت ، لكنها طمأنتنى حتى تكلمت وأخبرتها بكل شئ، توصلت إليها إلا تخبر عائلتى .. كما أخبرتنى بأن السيدة رأته وقدمت الشكوى فيه، وأن إدارة المدرسة ستتخذ معه اللازم .. لم أعرف ماحدث فى غرفة الناظر المغلقة لكننى لم أر وجهه مرة أخرى ، وعلمت فيما بعد أنه انتقل لمدرسة بنين.. بعيدة كل البعد عن مدرستنا، .. رأيتته فى عامى هذا حين كنت فى درس بعيد عن منطقتنا .. أردت أن أبصق فى وجهه لكننى لم أستطع فنظرت للأرض وافتعلت أنى لا أراه فقد كان خجلى كبير حتى منه هو الذى أجرم فى حقى .. كان ولايزال دائما عندى شعور أنى أنا المذنبه .. بل أنى المذنبه حقا كان لا بد لى وقتها أن أنهى حياتى على أن استسلم له.. فى إحدى المرات وقع قلم إحدى التلميذات التى كانت تجلس أمام مكتب المدرس فنزلت تحت المقعد لتلتقطه فرأت كل شئ..



ودأبت على أن تنزل لتري كل مرة ما يحدث.. وأوعزت للفتاتين اللتان تجلسان بجانبها على النزول والنظر .. ولم يصرحوا لى ولكن بعد أن رحل بلا رجعه .. عيرننى بما رأوا .. بل ونشرون الخبر بين تلميذات الفصل رأيته فى أعينهم وفى همساتهم .. وبعد أن كنت أزهو بنفسى وبتفوقى صرت أخجل وكأنى أمشى عارية بينهن .. فلا أرفع يدى لأجيب ، أوأتكلم أوأضحك أوأجرى فى فناء المدرسة مثلهم .. وعلى مدى سنين الابتدائى والإعدادى معهم .. وممن دخلن معى المدرسة الثانوية ، رغم أنهن ربما نسين كل شئ لكننى .. لا يزال خجلى يصاحبنى لا مهرب منه ، فهو خجل من نفسى التى تعرف كل شئ ، فتأبىنى وتلومنى وتجلسنى فى ركن الحجرة لتكرر على مسامعى : "ياقدرة" .. هل ليس هناك سبيل للخلاص من هذا العذاب إلا الخلاص من الدنيا كلها؟؟

-15-

نظر يتأمل وجهها الطفولى الجميل وهى تشرب العصير
انتبهت لنظرته فأشاحت بوجهها خجلا وقالت : إلى متى
ستظل تنظر لى هكذا؟

: نهى .. أنت الكائن الوحيد فى هذه الحياة الذى تدخل
السعادة إلى قلبى بمجرد النظر له ، أنا احتاج إليك .. أحتاج
أن تظلى إلى جوارى فى هذه الفترة..

قالت : أنا إلى جوارك دائما .. هل وصلت إلى شئ ؟
- لا.. أفكر فقط من أين أبدأ

- داوم على الأذكار والصلاة وقراءة القرآن حتى تكون قويا إذا
ظهروا لك، وأيضا حتى يدلك الله على سكن "أم أيمن"
بالقاهرة

- افعل قدر استطاعتى واسأل الله أن يسدد خطاى..
-هل تعرف ياصلاح لماذا اختارتك هذه الأرواح لتنفذ رغباتها
وتريحها فى منامها؟



- لماذا؟

- لأنك إنسان طيب وروحك شفافة ، طيلة حياتك تتمنى الخير لكل الناس ولم تأذى أحد قط.

- أنها روحك الجميلة أنت التي ترى الأشياء جميلة .. هيا لأوصلك أريد أن أرى عمى أوحشنى ..

كان لقاء صلاح الثانى بعد أسرة عمه مع خالد ومحمود فى منزله .

صلاح : مارأيكم يا جماعة ؟ من أين نبدأ ومن نسأل؟

محمود : السؤال هو كيف نسأل ؟ هل نمشى فى الشوارع

ننادى إن كان أحد يعلم شيئاً عنها؟

صلاح : لا أعلم والله

خالد : وجدتها ... اذا كان الرجل الذى قابلته أخبرك أنه رآها

تشتري إفطار من ذلك المطعم ، اذن هى كانت تشتري كل

شئى من المحالات الأخرى وربما نجد محالات بقالة قديمة
مثلا يعرف شيئا عنها

صلاح : فكرة جيدة لكن ياخالد هذا يعتمد على أن يكون
أصحاب المحالات هذه لا يزالون أحياء ، وأيضا تكون
ذاكرتهم جيدة وأن كانوا باعوا المحال أو أغلقوها فعلينا
البحث عنهم وهذا يدخلنا فى دائرة بحث أخرى ، ولا نعرف
هل ستكون هذه المحاولة مجدبة أم لا .

محمود : دعنا نحاول

خالد : نعم فلنعتبرها بداية ونحاول والله معنا

صلاح : إذن توكلنا على الله أنا سأبحث فى شارعنا وامتداده
وأنت يا محمود اسأل فى الشارع اليمين أما انت ياخالد فى
الشارع الشمال ونتقابل مساء فى القهوة .

وفى القهوة ذكروا نتيجة مقابلاتهم فكانت كلها إجاباتها
واحدة : (والله ياابنى لا أتذكر - لا أعرف - نعم تذكرتها



كانت فعلاً تشتري منى لكن لا أعرف أين كانت تسكن -
كان المحل لوالدى رحمه الله وأنا كنت صغيرا لا أتذكر.)
صلاح : نحن نبحت عن إبرة فى كومة قش .. ماذا أفعل
ياربى؟ يارب دلنى.

كان رضا عامل القهوة النحيف الذى يقاربهم فى العمر
يسترق السمع للزبائن كالعادة ، لا يخجل من هذه العادة
حيث يتدخل ويشترك فى الكلام إذا لزم الامر.. اقترب ليأخذ
الأكواب وهو يسألهم : عن ماذا تبحثون ياأساتذه ؟
- اتركنا فى حالنا يارضا.. موضوع لن يفيدك ولن تفيدنا فيه
بشئ

رد رضا معاتبا : لماذا ياأستاذ خالد ؟ ربما أستطيع
مساعدتكم.. يضع سره فى أضعف خلقه.
قال محمود : نحن نبحت عن سيدة كانت تعيش هنا فى
المنطقة منذ ثلاثين عام .

حك رضا رأسه وقال : ياااه هذا عمر ثانى ..هل تعرفون من

يستطيع مساعدتكم فى هذا الأمر ؟

انتبهوا جميعا وقال صلاح : من يارضا ؟

رضا : الست تحية الخياطة .صحيح هى كبرت الآن لكنها

كانت تخط لسيدات المنطقة كلها وربما تتذكرها ربما

كانت تخط ملابسها عندها .

نظروا لبعضهم البعض ولمعت عيناهم وزاد حماسهم ،

وتعجبوا من ذكاء رضا.

صلاح : أعرفها .ذهبت مع جدتى إليها مرة أو إثنان وأنا

صغير لكنى لا أتذكر بيتها ..

محمود : هل تعرف بيتها يارضا ؟

هى جارتى وأحيانا كثيرة أشتري لها ماتريد

لن تفتح الباب لغريب الا اذا كنت معه ..لذا لا يكفى أن

أصف البيت.



ينظر إلى ساعة موبايله ويقول: ربما تكون نامت الآن سأمر عليك غدا عصرا بعد أن أحضر من العمل لنذهب إليها .. هز رضا رأسه بالموافقة .

الكتانية وأهلها

-16-

انطلق صلاح ومعه رضا إلى حيث تقطن السيدة تحية الخياطة فانحرفوا من حارة الى حارة ومن زقاق إلى الثانى حتى وقفوا أمام بيت قديم وصعدوا أربع درجات فقط وبدأ رضا يطرق بابا خشبيا قديما من ضلفتين وبعد صمت كان يقطعه صوت أقدام السيدة قادمه ببطئ تدق بعكازها على الأرض :
من ؟

أنا رضا ياست تحية افتحى الباب لو سمحتى معى ضيف يحتاج أن يتحدث معك .

فتحت الباب ببطئ وأخذت تدقق النظر فى وجه صلاح عله يكون شخص تعرفه وقالت : من ؟

قال : ضيف . أنت لا تعرفينى لكن أنا أعتبر جاركم أسكن فى شارع مدبولى .

- تفضل ياابنى تفضلوا . وأفسحت لهم الطريق فدخلا .



جلس صلاح ورضا ، كان انثريه قديم متواضع لكن يظهر عليه
دقة الصنع دار بعينه فى أرجاء المنزل ، منزل بسيط يخيم
عليه السكون . أحواله تدل على أنه كان يعج بالداخلين
والخارجين وأرجل الكثيرين كانت تدب فيه فهناك فى آخر
الصالة تقبع ماكينة خياطة قديمة مغطاه ، يقف على يمينها
مانيكان خشبى قديم على كتفه شريط القياس وعلى يسارها
مانيكان آخر عليه غلالة قديمة ، وكأنهما حارسان لها ، إلى
جوار الماكينة منضدة صغيرة عليها صندوق خشبى ملئ
ببكرات الخيط مختلفة الألوان والأحجام ظهر عليها القدم
وبهتت ألوانها، وكأنها تعبت من الوقوف فمال بعضها على
بعض تستريح .. أما السيدة تحية فكانت ممتلئة الجسم
سبعينية السن ترتدى جلباب رمادى اللون به ريشات سوداء
من قماش قديم .. يرتفع عن اقدامها شبرا وعلى اكتافها شال
صوف أسود اللون واضح أنها ترتديه حين يطرق بابها ضيوف
شعرها قصير يكتسيه الشيب .. قد عقدته للخلف ووضعت

فوقه غلاله رقيقة سوداء لفت طرفها على كتفها دون اهتمام،

ترتدى نظارة بإطار اسود

كانت السيدة تجلس أمامهم فقطعت الصمت بقولها :

يامرحبا

انتبه صلاح وشعر بالحرج فقال : مرحبا بك ... ياست تحية

نحن قدمنا نقصدك فى خدمة .. بما أنك كنت تخيطين

الملابس لسيدات المنطقة كلها فمن المؤكد أنك تستطيعين

مساعدتنا فيما نبحث عنه .

- تحت أمرك

نحن نبحث عن سيدة كانت تسكن فى هذا المنطقة منذ

ثلاثين سنة تقريبا

وكانت شابه ولها طفل صغير ،اسمها أم أيمن وبدأ يصفها

للسيدة تحية بحسب ما رآها تظهر له .

كانت السيدة تحية تعقد حاجبيها تركز فى كلامه ، لكنها

شردت بعيداً.. صمت صلاح يعطيها الفرصة لتتذكر بينما



كان رضا يحدق بهما منتبها ، وهو يتمنى أن يأتى الحل الذى اقترحه بثماره وتستطيع السيدة إفادة صلاح .

أطرقت السيدة تحيه نفكر ثم انتبعت له وقالت : ياااه " أم أيمن " كانت شابه مثل الورد الله يرحمها ويحسن إليها . وسعت عينا صلاح ودق قلبه وتنهد فرحًا .

- تعرفينها - نعم ياابنى أعرفها خيرالمعرفة.. الله يرحمها كانت مسكينة وحظها من الدنيا قليل ..جاءت من بلد ريفية -لا أتذكر اسمها -هربًا من زوجها المتوحش ، لم يكن أحد يستطيع إيقافه عن أذاها وأذى ابنها أيمن.. ربما يكون هرب هو الآخر من أذاه. كانت تجلس معى وأنا أخيط الملابس ، وكانت تحكى لى كثيرًا عن حياتها السابقة..

- أرجوكى أخبرينى بكل ماتعرفينه عنها بالتفصيل - قالت لى ذات مرة أن أمها كانت لها صاحبة من عزبة مجاورة لبلدتها، تزوجت وسافرت مصرمع زوجها.. وأن أمها كانت تحكى لها عن صاحبته هذه كثيرًا ، كانت تمليها الخطابات

لها .. حين ضاق بها الحال واسودت الدنيا فى وجهها لم تجد من تذهب إليه إلا صاحبة أمها التى رحبت بها، وقالت لها ابقى معى أنت وطفلك الصغير قالت لها : سوف تؤنسينى أنا أعيش بمفردى زوجى توفى وابنى تزوج .

واستطردت السيدة تحية : كانت أم أيمن تساعدنا فى الأعمال المنزلية ، وتخرج لتشتري لها الطلبات ، وتأتى عندى لتأخذ الملابس المخاطة وتجلس معى نتسامر ونحكى .. رحمها الله ماتت فى ريعان شبابها ..

صلاح : وكيف ماتت ؟ هل قتلت ؟

ردت السيدة تحية : لا لا ياابنى هى ماتت بالمرض الخبيث ربما من حزنها على ولدها.. كانت تدفع الشهامة والإشفاق أحد أبناء المنطقة ليتطوع فيسافر يسأل إن كان ابنها عاد للقربة ، فيعود ليقول أنه لم يرجع وليس هناك أية أخبار عنه .. فكان يتملكها الهم والحزن.



تنهدت وقالت : ماتت وتركت طفل صغير لم يكمل الثلاث سنوات للسيدة الطيبة التي أوتها وعاشت معها .

شرد صلاح وهو ينظر للسيدة تحية : لم نصل إلى شئ غير بعض التفاصيل ثم سألها بياس : طيب ألا تعرفين أين كانت تعيش هذه السيدة ؟

قالت السيدة تحية: والله يا بنى أنا لا أعرف أين كانت تسكن بالضبط لكنها كانت تسكن فى شارعك شارع مدبولى.

- انتبه صلاح وأيضا رضا .
- ماذا ؟ هل أنت متأكده ؟
- نعم متأكده أم جلال الله يرحمها كانت من أفضل الزبائن عندى

انتفض صلاح واقفا وصرخ : ماذا تقولين ؟

- ماذا بك يا بنى ؟ هل أنا أخطأت ؟

- من قلتي ؟

- قلت أم جلال

- أم جلال من ؟ أم جلال من ؟ أنطقى

هلعت السيدة وخافت

أسرع رضا يربت عليه : الهدى يأستاذ صلاح لماذا تفعل
على السيدة انها تساعدنا .

صمت صلاح ، وألقى بنفسه على الكرسي وقد أحمر وجهه
وعلا صوت انفاسه بينما ارتعدت السيدة تحية وهالها ما رأته
منه .

قال صلاح بصوت منخفض : آسف.. لكن قولى لى بالله
عليك أم جلال من ؟ أجيبى أرجوكى ما اسمها ؟

- لا اذكر يابنى ثم صمتت تفكر وقالت : أظن اسمها هانم
أمسك رأسه بكلتا يديه من هول المفاجأة ثم قال : هذه
جدتى

وفى القهوة جلس ثلاثتهم يخيم عليهم صمت وقد شرد
صلاح يتذكر كل شئ ويتخيل كل شئ
قال : جدتى ؟. السيدة التى عاشت معها أم أيمن هى جدتى
أم جلال؟

هل ياترى أنا ابن واحد من أولادها؟ أم أننى ابن ام ايمن الذى
تركته لها تربيته؟

وفى هذه الحالة جدتى ليست جدتى .. ياللمصيبة اذن عمى
سالم ليس عمى . ونهى ليست ابنة عمى .. من أكون ؟ ..
ربما أكون ابن جلال ؟ طالما جدتى اسمها أم جلال اذن لها
ابن اسمه جلال ، لكننى لم أراه أبداً ولم أسألها يوماً عنه ..
لماذا لم أسألها !؟

صحيح أنها ماتت وأنا عندى خمسة عشر عاما لكن انا
مخطئى كان لابد أن أسألها .. ثم أن لقبى "صلاح الدرينى"
مثل عمى سالم .. صحيح أنه غير مكتوب فى البطاقة لكنه

لقبي المتطابق مع لقب العائلة .. سألتها مرة وأنا طفل صغير

: هل أنا ابن بنتك؟ أم ابن

ابنك؟ فاحتضنتني وقبلتني وهوتضحك وقالت : أنت ابني

أنا.. بعدها لم أسألها أبدا .. لقد كان حنانها يطغى على كل

شيء..

خالد : إهدأ ياصلاح .. أنت تكلم نفسك منذ أن جئت من

عند الخياطة وتعيد نفس الكلام وتكرره..

محمود : ثم كيف تكون ابن جلال أو أحد من ابنائها

واسمك في البطاقة " صلاح محمد عبد الجواد محمد "

ليس من بين ابنائها اسم "محمد"

خالد : ربما تكون جدتك لأمك ،وربما محمد هذا

ابنها.. ما اسم عمك بالكامل؟

لن تصدقني إن قلت لك أننى لا أعرف غير أن اسمه سالم

محمد الدريني..



صلاح: لربما اخترعوا لى اسم أب وهمى ، وربما كان هذا اسم أبى الحقيقى زوج أم أيمن.. أنا اشعر بالإرتباك والتوتر ..لماذا لا نسأل أبويك نحن جيران منذ زمن ؟..

خالد : ياصلاح أبى وأمى تزوجا فلم يعرفا إلا جدتك أم جلال وحفيدها " أنت " ..من المؤكد أنهما تزوجا بعد وفاة " أم أيمن " أنت تكبرنى بأكثر من عامين وعموما سأسألهم أن كانا يعرفان تفاصيل أكثر..

- مايحيرنى لماذا لم يخبرنى عمى بالحقيقة حين ذهبت إليه مرتجفا من الأشباح ؟ هل كان يجاربنى ويذهب معى إلى صديقه خبير الأرواح وهو يعرف كل شئ؟

..هب واقفا : انا ذاهبٌ إليه.. لا بد أن أعرف الحقيقة منه.

محمود : انتظر ياصلاح .. سنذهب معك.. وصلت السيارة الأجرة للمكان المراد دون أن يشعر فهزه خالد وهو يناديه ودفع محمود الأجرة . قالوا : سننتظرك هنا على هذه القهوة .

وفى بيت عمه رحبت به نهى لكنه كان فى عالم آخر..
أقبل عمه سالم يصلح جلبابه وطاقيته بينما تركتهم نهى
وحدهما.

- خير ياصلاح ياابنى يظهر على وجهك القلق ..

قال له بعتاب : عمى. لماذا لم تقل لى الحقيقة؟

- أى حقيقة؟

- هل أنا ابنك ؟ أم ابن أخيك ؟ أم ابن من ؟ هل أم أيمن أمى

؟ ومن جلال ؟ أرجوك أجبني بالحقيقة .

- اندهش العم سالم وهاله ما سمع وقال : لماذا تقول هذا

الكلام ؟ ما الذى جرى ؟

حكى له صلاح كل ما حدث ثم قال : لا تخبئ عنى شيئاً

ياعمى. أرجوك.. من حقى أن أعرف ..

شرد عمه حزينا ثم قال : سبحان الله أخفينا عنك كل هذه

السنوات لتأتى بنفسها لك لتخبرك !

استطرد



عندما جئتني أول مرة قلت فى نفسى أن هذا ماضى لا داعى
لذكره حتى لا أحزنك فأنت أصبحت واحدٌ منا .. واعتبرت
أن هذه الأرواح ستختفى من نفسها بعد فترة قصيرة لأنك لن
تصل إلى شئ.. كما أننى لم أتوقع أن تعرف معلومات عنها
من القرية فقد مر زمن طويل .. أما وأنت قد عرفت فلن أخفى
عنك شيئاً وسأخبرك بالحقيقة كاملة .

نعم ياصلاح ياابنى سناء "أم أيمن" أمك ، وأيمن أخيك
ترقرقت الدموع فى عينه ، تذكر خانة اسم الأم فى شهادة
ميلاده " سناء عبد الدايم" وانتظر عمه أن يكمل ..
فقال : أم جلال أمى رحمها الله كانت من قرية مجاورة لقرية
جدتك لأمك وكما حكى لى كانتا تتقابلان على الترفة..

كانوا يتبادلون الأحاديث الجميلة وهم يقومون بأعمالهم من
غسل الملابس أو غسل الأطباق وغيرها فى مياة الترفة كل
منهم على شاطئى مقابل الأخرى . تصاحبوا وأحبت كل منهما
الأخرى كثيراً .. وفى يوم من الأيام جاء خاطب لهانم "

جدتك ام جلال " وتزوجت وجاءت عند التربة لا لتغسل
الصحون ولكن لتودع صاحبته وتسلم عليها .. وأخبرتها انها
سوف تزورها كلما جاءت لزيارة أهلها وبالفعل كانت تفعل
ذلك على مدى سنين .. وكانوا يرسلون لبعضهم البعض
الخطابات.

جدتك ام جلال كان قلبها طيب ولما لجأت لها أمك وعلمت
أنها ابنة صاحبته أخذتها فى كنفها وقالت هذه ابنتى .. أما
عنى فقد ملت إليها وأحببتها وفكرت أن اتزوجها ليكون لها
صفه رسمية فى العائلة بعد أن علمنا بأن زوجها دخل السجن
.. سافرت بنفسى إلى بلدتها لأسأل إن كان ايمن عاد فعلمت
بأمر دخول زوجها السجن قلت سأسعى فى إجراءات تطليقها
وأتزوجها ، وهذا سبب جعل زوجة عمك إلى الآن تتضايق
منك، فهى تظن أن حبى لك نابع من حبى لوالدتك .. لكن
يعلم الله ياصلاح أنك مثل أبنائى وأنى أحبك كما أحبهم ..
كان صلاح يفتح عينيه انتباها ودهشة.



تنهد العم ثم أكمل : أمى حزنت على وفاتها جدا ..
ورفضت أن تفرط فيك وكبرت بين أحضانها وأنت تناديها
جدتى وتنادينى عمى وبدأ الناس ينادونك بلقب العائلة (
الدرينى)..

أما جلال فهو أخى الكبير مات شابا صغيرًا رحمه الله
..وضع صلاح وجهه بين كفيه وظل يبكى .. ربت عليه عمه
وتركه يفرغ ما بوجوده من انفعال وحزن، وغاب فى الداخل
حتى انتهى صلاح ورحل.

فى صالة شقته وقف صلاح أمام صورة جدته أم جلال ينظر
لها طويلا والدموع تترقرق فى عينيه يقول : شكرا لك .. لم
أرمنك إلا كل خير وكل حنان وحب، لم أشعر أبداً طيلة
حياتى معك أنى لست قطعة منك وكأنى حفيدك فعلا، الله
يرحمك ويجازيكى عنى خير الجزاء .

ثم جلس يفكر ويكلم نفسه : الله يرحمك يا أمى .. تعذبتى
كثيرًا فى حياتك القصيرة .. ترى ما الذى يعذبك الآن ويقلق
منامك ؟ .. لماذا تزورينى يا أماه .. هل لتخبرينى بالحقيقة
فقط ؟ أم هناك حقيقة أخرى لم أعرفها بعد ؟ ولماذا يظهر لى
أيمن بهذه الصورة البشعة يا حبيبى يا أخى ما الذى جرى لك
؟ وماذا تريد منى ؟ لا بد أن أعرف

قام صلاح من نومه فتوضأ وصلى ثم جلس يدعو لجذته التى ربتة وأمه وأيمن قال : اللهم اغفر لى ولأمى وأبى .. ثم فتح عينيه متذكراً شيئاً هاماً قال : (أبى) ؟ اذا كانت أم أيمن أمى أذن من كان يضربها ويسئ معاملتها ومن هربت من قسوته هو أبى .

ترى أين هو الآن ؟ هل لازال فى السجن أم خرج ؟ واذا كان خرج من السجن فأين هو؟ إذا كان لم يعد الى القرية؟ ..من الممكن أن تكون مدة عقوبته قد انتهت لكن مثلاً قتل سجين آخر فحكم عليه بمدة أخرى .. أو ربما مات فى السجن أو خارجه ..

لماذا اشغل بالى به ؟ هو فى النهاية رجل شرير عامل أمى وأخى معاملة سيئة وحملها على الهرب وكان سكيراً مقامرًا .. ولم يرببنى، وليس له فضل على....

يشرد صلاح ويشعر بشئ فى صدره وصوت داخلى يقول له :
لكنه أبوك .. يتضايق .. هل سأبحث عنه هو أيضا ؟ ثم أخذ
يفكر : نعم هو أبى ، لو كان لا يزال على قيد الحياة فهو
الآن رجل كبير فى العمر ، ربما يحتاج من يعينه على الحياة
ويعتنى به .. ربما يكون مريض أو فقير .

لكن ماذا لو كان قد خرج من سجنه لكنه يعيش سيرته الأولى
من سكر ومقامرة ينتقل بين البارات ؟ ثم ماذا لو كان قد خرج
من السجن أشد إجراما وأكثر نفوذا وقد كون داخل سجنه مع
حفنة من معتادى الإجرام عصابة كبيرة تحترف السرقة والسطو
مثلا .

يصمت برهه ثم يقول : ماذا تقول يا صلاح ماكل هذه
التخيلات .

ثم تأخذه تخيلاته رغما عنه مرة أخرى فيتخيل أبيه يخطو أولى
خطواته خارج السجن وأذا بسيارة تدهسه فيموت أو ينقل إلى
المشفى فاقدا للذاكرة .. لا لا لو حدث ذلك فإنهم يعرفونه



فى السجى كانى سىبلغون أهله فى القرية .. لكن ربما حدث
هذا بعيداً عن السجى .. وربما كان عائداً إلى القرية فى
سيارة ركاب فانقلبت به فمات وتناثرت أوراقه فلم يعيدوه الى
أهله ودفنوه فى أى مكان ..

يااللهى لماذا عقلى لايتوقف عن التفكير فى هذا الأمر . ليتنى
استطيع نسيانه ..

ربما أرسل لأخوته عند اقتراب خروجه من السجى فهددوه أن
يبعد عن القرية طمعاً فى المنزل الذى استولوا عليه وربما
قتلوه..

ليتنى أعرف، ليتنى استريح من هذا التفكير .. لا ياصلاح لا
يمكن لك أن تقاوم. الأمر يفرض نفسه لابد لى من البحث
عن أبى ومعرفة مصيره أيى كان .. إلا ان يقول لى بلسانه انه لا
يريدنى، أو اعلم أنه فى غنى عنى، أو يكون سلك طريقه
السابق ، أو أصبح ذا نفوذ وشر أو يطلب منى العمل معه
وحينها سأبتعد عنه ولكن لن أقطعه سأصله بين وقت وآخر

وأدوم على نصحه لعله يتوب .. لكن من أين أبدأ هل من نفس المكان الذى بدأت منه رحلة البحث عن أمى ؟ من القرية ؟

يااااااه قرية "جزائر عيسى " هذه القرية التى زرتها لأبحث عن أشباح تطاردنى، يتضح فيما بعد أنها قريتى ومسقط رأسى ، وأصلى ، الذى عاش فيها أبى وأمى وأجدادى وأعمامى .. أنا ابن محافظة البحيرة وابن قرية "جزائر عيسى "

سأل نفسه هل إذا ذهبت لأعمامى وطلبت منهم معلومات عن أبى ترى سيتعاونون معى ؟ ربما امتنعوا أو أنكروا معرفتهم بأى معلومات ، ربما ظنوا أنى جئت أطلبهم بحق أبى فى المنزل فيقابلونى بالتجهم ورفع الصوت والإنكار.. وربما طردونى .. لا أعرف عنهم الكثير ولا أستطيع توقع ردود أفعالهم . لا بد لى من زيارة الشيخ إبراهيم لأخذ رأيه .

أما نهى فقد قلت عند رؤية صلاح عندهم فى المنزل بهذه الصورة ، شارد متجههم ، حزين ، لا ينتبه لها ، ما دفعها لأن تسترق السمع لكلامه مع أبيها .. سمعت نهى كل شئ ، وعرفت أصل الحكاية وحقيقة صلاح وأمه التى هربت به من "جزائر عيسى" إلى القاهرة .. لم تسطع النوم ليلتها .. فكرت كثيرا .. ذهبت إلى أمها : هل كنت تعلمين ؟ .. نعم كنت أعلم كل شئ لكن أبوكى كان يمنعنى من مصارحتك ، كان يقول أنه سيصارك بنفسه فى الوقت المناسب .

ثارت نهى وقالت بغضب : أى وقت مناسب ؟ لم يكن ينبغى أن تخفوا عنى أمر هام كهذا منذ البداية .

تستطرد الأم :

يظن أبوكى أننى لا أحبه غيراً من أمه التى كان سيتزوجها يوماً ما ، وأن هذا سبب رفضى له ولتربيته فى بيتى .. لكننى كنت لا أحب أن أضم لأولادى ولد غريب عنا ، كما أننى لا

أقبل بشخص ليس له أصل أو عائلة مشرفة زوجًا لابنتى الوحيدة .. أمه ريفية هربت من بلدتها ، وجاءت هنا تعمل خادمة عند جدتك ، وأبيه مسجون فى قضية قتل، من يقبل بهذا؟ .. لم أكن لأسكت أبدًا على هذه الزيجة ، كنت سأخبرك بالحقيقة حتى لو استمر أبوك فى منعى .

دخل أبوها بعد أن سمعها نظرت له وقالت : لم يكن ينبغى أن تخفى عنى يا أبى .

قال : ها قد علمت كل شئ .. هل سيختلف الأمر معك ؟ صلاح هو هو لم يتغير .. هو الشخص ذو الخلق والدين .. الذى يحمل كل معانى الرجولة والإنسانية .. الذى ربته جدتك كما ربت أبوكى .. نحن من ربيناه على أعيننا .. ينتمى لعائلة الدربنى أكثر ما ينتمى لعائلته .. صلاح هو هو ، من أحبك وأحبيته ..



قالت وهى تبكى : لا يابى أنا أحببت ابن عمى ، أحببت
شخص كنت أظن أنه من دمي وأنى أنتمى إليه قبل أن أكون
زوجته

هذا شخص غريب ..أبيه ليس أخو أبى بل رجل سكير مقامر
متوحش حكم عليه بالمؤبد فى قضية قتل .. لمن ينتمى؟ هل
لعائلة الدربنى كما تقول ؟ لا ..أنت واهم يابى ، هو ينتمى
لذلك الرجل الذى لا نعرفه ، يحمل اسمه وجيناته الوراثية
وربما صفاته فيما بعد .. ينتمى لقريته "جزائر عيسى" ..
ينتمى لأمه لا لجدتى التى ربته عطفً عليه..

لا يابى هذا ليس صلاح ابن العم الذى أحبته وتمنيت
الزواج منه . كان ينبغى أن تخبرونى قبل أن تتورط مشاعرى
فى حبه .

تشرد وتقول : صلاح كان حلمًا وهُدْمَ هذا الحلم فى لحظة
..تبكى ..يصمت أبيها حزينا .. ترتاح ملامح أمها وهى
تتنفس الصعداء.

وتقول : أظن من حقى الآن أن أطلب منك عدم دخوله البيت
مرة أخرى ،.. وإن أحببت أن تقابله فإذهب له أو قابله فى
القهوة .

انتهى الشيخ إبراهيم من صلاة العصر ، وفرغ من التسبيح ، وهم بالوقوف ليجد صلاح أمامه يمد يده : تقبل الله يامولانا .. احتضن الشيخ صلاح ورحب به أيما ترحيب وتوجهها للمنزل ..

حكى صلاح كل ما حدث بالتفصيل فكبر الشيخ : الله أكبر الله أكبر سبحان الله .. والله شئ كأنه خيال .
ماذا افعل الآن ياشيخ إبراهيم؟ أريد أن أريح أُمى فى منامها ، وأخى أيمن .. لا أعلم إلى الآن مالذى يقلقهم .. انتظر ظهور أحدهم لعلى أعرف .. لا يمكن أن يكون ظهورهم لى لمجرد إخبارى بحقيقتى وبصلتهم بى مؤكدا هناك أمر آخر .. أيمن كان يظهر لى بصورة بشعة متورم العين به جروح وسحجات بوجهه .. ليس أمامى إلا الإنتظار حتى تأتبنى رسالة أخرى منهم أوأستطيع فك رموزهم .. أما الآن فلى "أب" ، يجب أن لا أتخلى عن البحث عنه ومعرفة مصيره ، وإن كان ما

كان .. ولا أعرف من أين أبدًا هل إن ذهبت لأعمامى
استطيع الحصول على معلومات عنه ؟ أم ربما لا يطيقون
سيرته على اعتبار أنه جلب لهم العار ..

تنهد الشيخ وكان يستمع لصلاح باهتمام : الله يكون فى
عونك يابنى. الحمل كبير لا أعتقد إن ذهبت لهم
سيفيدونك هم نسو أخوهم واستولوا على داره لن يرحبوا بمن
يأتى لهم فيقول : أنا ابنه

صمنا يفكران حتى طرأت فكره برأس صلاح ذكرها للشيخ
فأثنى عليها وقال سأمشى معك أريك المنزل وأرجع ، وربنا
معك ويوفقك بإذن الله ..

وصل صلاح بيت أعمامه يحمل دفتر كبير أحضره له الشيخ
دق الجرس وعرف نفسه أنه موظف بالشئون الإجتماعية وأنه
يود أخذ بعض المعلومات ، اضطرب البيت الملى بالصغار،
وجرى كل واحد ينبئ الثانى بالضيف القادم لتطل عليه كل
ثانية رأس تراه سريعا ثم تختفى ..تنحنح كبيرهم وخرج



يستقبله رجل طويل عريض ربما فى السابعة والخمسين من عمره أصلع الرأس أجش الصوت يرتدى جلباب رمادى اللون.. لم يستطع مقاومة سؤال الح على رأسه : ترى أبى يشبهه.

- أهلاً وسهلاً خير؟

- أنا من هيئة الشؤون الاجتماعية ، وأود أن أجلس معك خمس دقائق لأخذ بعض المعلومات .. لن أطيل عليك..

فكر الرجل برهه وهو يمسح على رأسه ثم قال : لا مانع تفضل

جلس الرجل متحفزاً ، أخذ صلاح يتقمص دور موظف الشؤون الاجتماعية فبدأ يطرح بعض الأسئلة .. كم عدد الابناء ؟ ، وكم شخص يعمل بالأسرة ؟ .. هل هناك أحد فى المنزل دخل الخدمة العسكرية؟ كم فرد أنهى التعليم الجامعى؟ وكم فرد تعليم متوسط ؟ وأخذ يفتعل تدوين المعلومات فى الدفتر.. حاول جاهدا أن يخفى مابداخل

الدفتري عن أعين عمه حتى لا يكتشف الأمر ثم استجمع شجاعته وقال : عرفت من أهل القرية أنه كان لك أخ مسجون اضطرب الرجل وشعر بالخرج وقال متلعثما : من قال لك هذا؟.. إنه حادث قديم.. و..

صلاح : أنا آسف .. لكن أرجوك ساعدنى فى اتمام عملى وتأكد أن الأمر ليس به ضرر لك أنا فقط أعمل بحث إحصائية فى قريتكم وقرى كثيرة

هز الرجل رأسه موافقاً : تفضل اسأل ماتشاء

- فى أى سجن قضى أخيك مدته

- فى سجن طرة ..

- وما كانت تهمته

- قتل أحدهم فى مشاجرة وأخذ مؤبداً.. لأن كانت شهادة

الشهود أنه هدده سابقا بالقتل، وكانا على خلاف دائم

.. المحكمة اعتبرته سبق اصرار وترصد...



افتعل صلاح الدهشة والأسف ودون في دفتره ثم عاد يسأل:-

منذ متى هذه الحادثة ؟

- منذ مايقرب من ثلاثين عام

هذا معناه أنه خرج

- نعم

- وأين هو الآن ؟

- لا أعلم

- كيف لاتعلم أليس أخاك؟

- أخى .. ولكن انقطعت أخباره .. لم يعد إلى القرية ، ولا

أعلم أين هو الآن

- الم تزوروه خلال مدة سجنه

- كنا نزوره في البداية لكن انشغلنا بالأولاد ولقمة العيش ثم

لم تبقى الصحة كما كانت لتساعدنا على الذهاب والتنقل

والسفر بين وقت وآخر.

شكر صلاح الرجل على حسن تعاونه وذهب وهو أكثر حيرة

يحاول الشيخ اثناء صلاح عن السفر ويطلب منه المبيت عنده هذه الليلة لكن صلاح يخبره انه لا بد ان يبيت فى شقته هذه الليلة حتى يذهب صباحا لسجن طره للسؤال عن ابيه قال الشيخ : وما جدوى هذه الزيارة؟ إن كان خارج السجن منذ مدة

يرد صلاح بيأس: ربما يتابع السجن أحوال بعض المساجين بعد خروجهم....فيرسلهم إلى مصانع تابعة للسجن أو شئ من هذا القبيل..ربما.. ليس أمامى إلا هذا الخيط لأتبعه
علنى أصل لشيء

- الله يقويك يا بنى ، فى رعاية الله

جلست علياء تفكر حائرة مشفقة على أختها تعيد قراءة المذكرات التي التقطت لها صورة بالموبايل قبل أن تعيد كشكول المذكرات إلى مكانه .. الآن تأكدت أن أختها تعاني من أزمة نفسية ومن خبرة صادمة في طفولتها .. هل تصارحها وتأخذها بين أحضانها .. أم أن هذا سيزيدها خجلاً وألمًا .. لا أعرف كيف أساعدها..؟

جاءتها فكرة .. بدأت تبحث عن "دكتور نفسى" يقبل أن تتكلم معه عبر الواتس حتى وجدت فتكلمت معه وأخبرته بكل شئ .. فطمأنها وقال أجعلها تكلمنى دون أن تخبريها أنك تعلمين شيئاً ..

وعلى طعام العشاء جلس ثلاثتهم حول المائدة الصغيرة .. قالت علياء: تعلمون وجدت رقم دكتور نفسى يستقبل الاستشارات على رقم الواتس ويرد عليها وكنت متضايقه قليلا فتحدثت معه فأحسست بالراحة وكأنى أتكلم مع نفسى ..

هو لا يعرفنى فأفضفض كما أشاء ..صمتت رغد فليس عندها
الشجاعة لتطلب الرقم سأرسل لكما رقمه على الواتس ربما
تحتاجونه.

بعدها إطمأنت علياء أن رغد أصبحت تكلمه ، وبعد خمس
محادثات ، بعد أن إطمأنت تماما.. قال لها تحتاجين
لجلسات أطول ..هذا عنوان العيادة تعالى ..قالت : لا نمتلك
المال لدفع الفيزيتا الباهظة ..كان هذا الطبيب إنسان لا
تاجرًا قال لها لا عليك تعالى واعتبرى الحساب مدفوع

تلقى صلاح رسالة على الواتس من نهى تقول فيها :
يامن ظننتك ابن عمى وأحببت فيك قبل كل شئ أنك من
دمى .. لا يمكن الآن أن أصير زوجتك .. ولا يمكن أن
أكذب على أولادى فأخبرهم أنك ابن عمى ..وأن جدتك
جدتى .. لا يمكننى أن أخبرهم أن جدهم رجل صالح لم
يدخل السجن فى جريمة قتل مروعة ..



لا يمكن أن أخبرهم أن جدتهم جاءت القاهرة هاربه من بطشه حين يبطش بها وهو سكران لا يفيق من الخمر .. لا يمكن ياصلاح .. أريد تاريخًا مشرفا أرويه لأبنائى عن عائلة أبيهم كما أننى كنت أحلم بالزواج ممن هو من دمي ولحمى .. آسفة .. وأرجو أن تعذرنى

ثم أنهت المحادثة بعمل حظر لرقمه على الواتس .
قال صلاح لنفسه : كنت أظن يانهى أن قيمتى عندك ليس لها علاقة بشئ .. وحبك لى أكبر من أى شئ .. حتى أننى ظننت أنك ستقفين فى وجه أمك لتتزوج .. لكن تأتى المصائب لنعرف حقيقة مشاعر الناس تجاهنا .. كما يعرفون هم أيضا حقيقة مشاعرهم .. موقفك هذا قتل حبك فى قلبى الذى ربما لم يكن حبا من الأساس .

هاتفه عمه سالم يعتذر له : قال لا عليك ياعمى هذا نصيب .
وهى حرة فيما تقرر ..

- أرجو أن لا يتغير موقفك تجاهى بسبب قرار نهى .

-لا ياعمى . ستظل عمى الذى تكفل بى ورعانى مع جدتى
، ولن أنسى فضلك ماحييت..
-لا تقل هذا أنت محبتك مثل محبة أبنائى تمامًا .

دخل صلاح لمأمور السجن فألقى السلام
- وعليكم السلام .. اتفضل . وأشار له بالجلوس
قال : ابحث عن سجين اسمه (محمد عبد الجواد محمد)
انتهت مدته وخرج .. لكن اتمنى أن أجد عندكم هنا في
السجن معلومات عن مكانه الآن ..
- منذ متى كان سجنه ؟
- سجن منذ حوالي ثلاثين عام تقريبا
- يااااااه هذا زمن طويل .. لا أعتقد أنك ستجد عندنا
معلومات عنه الآن .. لكن سأساعدك ربما تجد خيط يدللك
على مكانه
وضغط على الزر فدخل العسكري فطلب منه أن يصطحب
صلاح إلى مكتب الإحصائي الاجتماعي ..
كانوا يتمشون عبر الفناء قال الإحصائي الاجتماعي :

الرعاية لا تشمل كل المسجونين .. لو السجنين أقرأنه له أقارب
فى الخارج أو مال يسمح له بمشروع صغيرهنا ينتهى دورنا
... والسجين الذى تبحث عنه بدأ سجنه منذ ما يقرب
الثلاثين عاما

وكان محكوم عليه بالمؤبد ، ربما يكون قضى المدة كلها أو
تضاعفت له المدد نتيجة محاولات الهروب أو غيرها ، وربما
كان سجيننا مستقيما فخرج فى ثلاثة أرباع المدة أى أنه ربما
يكون خارج السجن منذ أكثر من عشر سنوات.. على
العموم كل شئ يقيد فى دفاتر السجن نحن لا نعتمد على
الكمبيوتر وحده وها نحن ذاهبان الى الأرشيف
.. يبحث موظف الأرشيف فى الكمبيوتر حين وفى الدفاتر
حين آخر حتى يجد اسمه فيشير اليه :هاهو " محمد عبد
الجواد محمد"

خرج منذ عشرة أعوام .. يدق قلب صلاح ويسأل نفسه :
ترى أين ذهب؟



يبحث الموظف عن اسمه فى الكمبيوتر فى ملف رعاية
المساجين فلم يجده

- لا حول ولا قوة الا بالله .. ابحث مرة أخرى أرجوك

- بحثت جيدا صدقنى اسمه غير موجود

يتملك اليأس صلاح ويظهر الضيق والحزن على وجهه يقول
الموظف :

انتظر .. هناك وسيلة أخرى ربما نعرف بيها معلومات عنه

ينتبه صلاح بسرعة : ماهى؟

يمكن أن نسأل اذا كان هناك سجين محكوم عليه بمدة طويلة

كان معه فى الزنزانة .. ربما يكون تكلم معه عن خططه بعد

الخروج وأين سيعيش ..

يقول صلاح بياس : هذا احتمال ضعيف لكن ليس أمامنا الا

المحاولة ..

وعن طريق البحث عن رقمه استطاع الموظف تحديد مكان

زنزانتة ومن فيها .. ها هو سجين اسمه " خليل سيد أحمد "

مبنى (2) الدور الثالث زنزاة رقم "18" يصافح صلاح
الموظف ويشكر له تعاونه.

ويتوجه إلى مكتب الإخصائى الإجتماعى الذى يرسل فى
طلب " خليل سيد أحمد "

وبعد دقائق يقف أمامهما رجل نحيل الجسد صغير البنية ضيق
العينين يظهر فيهما الذكاء والحنكة وفى وجهه المروءة
والطيبة

يقول الاخصائى : أجلس يا عم خليل وأجب عن أسئلة
الأستاذ صلاح ولا تخفى عنه شيئاً .

يرد وهو متضايق يحملق فى صلاح : حاضر يا باشا

- قل لى يا عم خليل هل تعرف " محمد عبد الجواد محمد"؟
ينتبه للأسم : نعم .. أعرفه عز المعرفة .

تحمس صلاح : هل تعرف أين مكانه الآن ؟ هل قال لك أين
سيذهب بعد السجن ؟



كاد خليل أن يقول شيئاً، لكنه سأل بتوجس : من أنت ؟
لماذا تسأل عنه ؟

- لا تخف يا عم خليل أنا أريده في أمر خير .. لا تخف
لمس خليل الصدق في كلام صلاح ولهفته وحرصه فأحس
بالإطمئنان وقال :

- محمد عبد الجواد في بيتي

تعجب صلاح : في بيتك ؟ كيف ؟

- سأوضح لك .. أنا ليس لي أحد إلا الله .. مقطوع من
شجرة مثله

ولا أمتلك إلا شقة صغيرة في حارة تزوجت فيها ولم يرد الله
لي بالإنجاب .. خاننتي زوجتي فقتلتها ودخلت السجن ..
ليس لي أخوة ولا أقارب إلا عم مات وأنا في السجن وأبناؤه
مهاجرون للخارج .. ورزقني الله " بعبد الجواد " أخ لي ..
كنت أناديه بعبد الجواد لأميزه عن اثنان آخران اسمهم محمد
معنا في الزنانة، فأنادى كل منهم باسم أبيه أو لقب عائلته ..

يصنى صلاح جيدا ليعرف ما علاقة كل هذا الكلام بمكان
أبيه

- لما حكى لى أنه ليس له أحد هو أيضا وأنه لا يريد الرجوع
إلى بلدته وإخوته ، أخبرته عن من يسلمه مفتاح شقتى وقلت
له : أمكث فيها حتى أخرج ونعيش سويا حتى انقضاء الأجل
.. هو يزورنى كلما حانت له الفرصة
قال صلاح : أعطنى عنوان الشقة .

مشى صلاح فى حارة "القناوى" بامبابة يبحث عن البيت رقم 20 حتى وجده فوقف أمامه يدق قلبه ، إستجمع شجاعته ..صعد إلى الدور الأول .. قال لنفسه هذا الباب يفصلنى عن أبى ..هنا يعيش الرجل الذى أنجبنى .. هنا يعيش الرجل الذى أكرم فى حق أمى وجعلها تهرب بى ليلا .. هنا يعيش الرجل الذى غير حياتى .. الذى جعل جدتى أم جلال تربيىنى، جعلنى أعرف عمى سالم وأبناءه وأعرف خالد ومحمود ، وباقى الجيران والأحباب .. جعلنى أعيش فى مكان مختلف تماما عن المكان الذى ولدت فيه .. ترى كيف كانت لتبدو حياتى إن نشأت فى القرية ؟ الأفضل أم الأسوء؟ ..تنهد وقال : ترى مالذى يتتظرنى من مفاجآت خلف هذا الباب ؟

كاد يطلق رجليه للريح ويفر هارباً عندما راودته فكرة أن يكون أبيه قد توفى ويقابل شبحه مثل أمه وأيمن .. لكنه قال

: أثبت ياصلاح هل مشيت كل هذا المشوار حتى تهرب فى
آخره .. ثم أنك قابلت أشخاص حقيقيين فى السجن تكلموا
وجلسوا معك..

وما الذى يخيفك إن كان شبح ؟ أنت بالفعل قابلت شبعا
أيمن وأمك
فلننهى الطريق الى آخره..

ثم تخيل أبيه سيقابله وهو سكران ويقول له بغضب :أغرب
عن وجهى ولا تذكرنى بالماضى .. لا أريد أبناء ولا غيره.
أخذ نفسا عميقا وردد : رب يسر لى أمرى . طرق الباب
فلم يجب أحداً .. انتظر قليلا ثم طرق مرة أخرى ، فسمع
خطوات تمشى إلى منتصف الصالة ثم صوت : من بالباب ؟
قال بصوت مرتفع : أنا صلاح من طرف صديقك خليل .
تحرك ببطئ صوب الباب بخطوات إحداها سليمة والأخرى
بها آفه تجعلها لا تكاد تلمس الأرض.. ربما بها خدر من
الإتكاء عليها فترة طويلة .. أطل من الباب رجل يبلغ من



العمر حوالى ال الخامسة والستين عاما ، طيب النظرات ، على وجهه آثار الزمن وخطوط الحكمة .. بشارب ولحية خفيفين جدًا ، ورأس تكاد تخلو إلا من بعض الشعيرات التى يكسوها الشيب ، طويل ممتلئ الجسد قليلاً.. لا يزال به بعض من قوة البنية ، يرتدى جلباب أزرق وطاقيه بنية اللون .. وقف صلاح أمامه شاردًا تمامًا جامد الوجه يحملق فى ملامحه .. لا يصدق أنه أمام أبيه .. وقد مر بعقله فى برهه من الزمن كل ماسمعه عنه .. تذكر أمه وأيمن .. نظر إلى يديه الكبيرتين .. يالها من يد. كيف كانت فى شبابه ؟ إن أمى بنيتها الضعيفة الذى رأيتها كان يكفيها صفعة واحدة من هذه اليد كى تهرب إلى أبعد البلاد .. امتدت هذه اليد لتصافحه ، وصوت أبيه يردد أهلا وسهلا فقطع شروده ، ارتعشت يد صلاح لكنه تمالك نفسه سريعًا فصافحه ..

افسح له الطريق ليدخل .. تفضل

أخذ صلاح يقلب نظره فى جدران الشقة المتهالك وألوانها الباهتة وأثاثها البسيط ، جلس الأب على الكرسى المجاور له وقال : يامرحبًا .. من المؤكد أن خليل أرسلك لما تأخرت عليه فى الزيارة...منذ أن كسرت ساقى وأنا لا أخطو عليها بشكل طبيعى ، تؤلمنى إذا مشيت مسافة طويلة ، وأيضا فى أيام البرد القارس...فلا أقوى على زيارة خليل إلا على فترات متباعدة .. الأمر يحتاج إلى سيارة تأخذنى من هنا إلى السجن وتعيدنى وهذا الأمر مكلف مادياً جدا بالنسبة لى ..

قال متلعثما وقد أخذته الشفقة عليه : ألف لا بأس عليك

- الله يسلمك

.. لماذا تأخذنى الشفقة بهذا الرجل أنه لم يشفق على أوعلى أمى وأخى .. هل هناك حب فطرى من الأبناء لآبائهم مثلما عند الآباء لأبنائهم؟ أم أنها طبيعتى أنا ؟ .. أم عند البعض فقط من الأبناء ؟ ربما أشفق عليه لكبر سنه .. لا.



هناك شعور آخر يختلط بالشفقة المجردة أننى أشعر بشفقة مخلوطة بشئ من الحب وكأنه شخص عزيز أعرفه منذ زمن.

- قل لى .. هل تفضل الشاى أم قهوة؟

- لا لا أشكرك لا تتعب نفسك.

- هل كنت مع خليل فى السجن ثم أفرج عنك ؟ أم أنك

موظف جديد فى السجن؟

- لا هذه ولا هذه .. أنا كنت فى زيارة للأستاذ خليل ؟

- زيارة ؟ هل أنت أحد أقاربه ؟ يستدرك : لكن خليل ليس له

أقارب .. ربما تكون ابن أحد من أبناء عمه المهاجرون

للخارج جئت لزيارة مصر..

- لا تحتار ، سأقول لك من أكون .

- أنا لست قريب خليل .. أنا قريبك أنت ؟ ذهبت إلى

السجن لأسأل عنك وعم خليل دلنى على مكانك..

- قريبي أنا ؟ ابن من من أخوتى؟

أشفق عليه من المفاجأة ، لكنه جمع كلماته بصعوبة ليقول :
أنا.. أنا أبنيك أنت .

دهش الرجل ولم يفهم شيئاً : ابني ؟

نعم أظنك تذكر أن زوجتك سناء حين هربت من البلدة
كانت تحمل على كتفها طفل صغير .. ألم يكن هذا ابنيك ؟
أنا هذا الولد .. أنا صلاح . وأخرج بطاقته وشهادة ميلاده
المكتوب فيها اسم الأم وأراه إياهما .

أخذت الرجل المفاجأة فلم ينطق بحرف واحد، وقد اتسعت
عيناه اللتين إلتمعتها بدموع تأبى أن تنزل وهو ينظر إلى صلاح
، فاستدعت دموعه دموع صلاح ، فترقرت في عينيه ،
وبتلقائية أمسك يد والده فربت عليها ، ثم انحنى وقبلها
ما جعل الأب ينخرط في البكاء وتتفجر عينيه كينبوع .. جثى
صلاح على ركبتيه أمامه باكياً واحتضنه .. فقبل رأس صلاح
وجبينه ..



أخذ منديل فمسح عينيه ومنخاره وفمه وقال : من الذى ذكرنى لك ؟ من قال أن لك أب ؟ وما الذى جعلك تبحث عنى ؟ ، أنا لا أستحق .. هل هى أمك ؟ أين هى وكيف حالها ؟ ربي أعلم ماذا فعلت لأجدها .. كنت أهرب من السجن لأبحث .. لقد ندمت على ما فعلته معها ، فقط أردت أن تسامحنى وأطمئن عليها وعليك ، وأعود مرة أخرى إلى السجن ، لكنهم كانوا يقبضون علي بسرعة ويعيدونى .. كنت أفعل بها ما أفعل وأنا فى غير وعيى بسبب المخدرات (لعنها الله) .

كنت غافل طائش بعيداً عن ربي .. وقد دفعت الثمن . قضيت عمري كله فى السجن .

- أبى لقد انتهى كل شئ الآن ، هذا منذ زمن وأنت الآن تبت وندمت والله يقبل التوبة عن عبادة وهو الغفور الرحيم

- ياااه " أبى " أشكرك أنك جئت لتمنحنى هذه الكلمة الكبيرة المعنى والتي لم أقدرها سابقا .. والآن يجب أن

تأخذنى لوالدتك حتى اترجاها أن تسامحنى حتى أموت وأنا
مرتاح الضمير.

صمت صلاح ثم قال : أمى ماتت وأنا اتخطى عامى الثانى
ببضع شهور، ربتنى سيدة طيبة .. هنا فى القاهرة.

- مسكينة. الله يرحمها.. دمعت عيناه ثم قال بياس : اذن لن
تسامحنى ابداً

- الله يسامحك يا أبى

- إذا كانت أمك توفاهها الله وأنت صغير، فى مكان بعيد عن
القرية أذن من حكى لك عنى وجعلك تبحث عنى ؟

هذه حكاية طويلة سأرويها لك.. يبدو أن الله سبحانه قبل
توبتك فسبب الأسباب كى يهاديك وربما أراد أن يهادينى أنا
الآخر.

لكن قبل أن أحكى سأدخل فأعمل كويين من الشاى، أنا
الان لست غريب وهذا بيت والدى،نظر له بابتسامة عريضة
وعينان يملأهما الحب والدموع



وضع كوبي الشاى وقال : قبل أن أحكى لك يجب أن اتفق
معك على شئ هام ..

أنا أعيش فى شقة أدفع ايجارها بعد وفاة السيدة التى كانت
تربىنى جدتى أم جلال رحمها الله .. ولا أريد أن أترك
تعيش بمفردك لابد أن تأتى للعيش معى ..

قال : لا يابنى أنا أنتظر خليل صاحبى لنقضى مابقى من
العمر معاً كما اتفقت معه اقتربت مدته من الإنتهاء وسيخرج
قريباً.

- أبى . أنت تحتاج إلى رعاية .. كما أننى أريد أن أعرضك
على طبيب عظام ليرى ساقك ربما تحتاج إلى علاج طبيعى
..

- لا لا . هل يظهر لك أب بعد كل هذه الأعوام لم يربيك أو
ينفق عليك من كده وعرقه كى يثقل عليك الآن ويحملك
همه ومسئوليته؟

- أبى لا تقل هذا أنا إبنك فى كل الأحوال . كيف أتركك

- لا تتعبنى ياصلاح أنا وعدت خليل أن أنتظره وأسكن معه..
وأنا هنا تعودت على البيت والشارع والجيران وأصبحت أعرف
الناس ويعرفونى ..

- كما تشاء ياأبى.. لكن طمنى كيف تنفق على نفسك؟ من
أى دخل تعيش؟

كانت لى مهنة قديمة وهواية فى نفس الوقت تعلمت أصولها
وأتقنتها فى السجن ،وهى إصلاح الأدوات الكهربائية
أستأجرت محل صغير هنا فى الشارع وأعمل فيه بهذه المهنة.
- وهل تربح منها؟

- نعم . الحمد لله الناس يحبوننى ويأتون لى من آخر الدنيا .
فأنا أنجز أعمالهم سريعا ولا أبالغ فى الأجر.

- الحمد لله طمئنتنى عليك .. عندى سؤال آخر
لماذا لا تريد الرجوع إلى القرية؟

تنهد وقال : لم أشأ أن أنزل القرية حتى لا أكون مصدر
للشفقة أو الشماتة من أحد .. الناس لا ينسون ، ورجوعى



سيذكرهم ويحكون لأبنائهم وتصبح فى عيونهم نظرات
الاستفسار والاستغراب يحملقون لوجهى كلما رأوه .. كما أن
وجودى سيخرج أخوتى .. لابد أنهم يخفون أمرى عن من
يتقدم للزواج من بناتهم. كما أننى ليس لى مكان فى بيوتهم
.. هل أرجع لأفرض نفسى وأضايقهم .. حتى بيتى الذى
هدموه وبنوه بالطوب الأحمر وعاشوا فيه أصبح ملكهم بقانون
وضع اليد ، بمضى أكثر من عشرون عام
فضلت أن أعيش فى مكان لا يعرف أحد فيه ماضىي .
ثم قال بمزاح: ها هل عرفت كل شئ ؟ كفى أسئلة أذن
، واحكى لى كيف كانت حياتك ومن أخبرك عنى ؟

كانت علياء ورغد يجلسان مع أخيهم محمود فتطرق الحديث إلى أحوال صلاح فقالت علياء : هل وجد شيئاً من أمر الأشباح التي تظهر له بعد أن سافر إلى القرية؟

محمود : نعم وجد الكثير من المفاجآت ، سأحكي لكما..
إزداد إشفاق علياء على صلاح وقالت في نفسها: ترى كيف تشعر يا صلاح .. يا حبيبي ما كل هذا ؟ ليتنى كان لى حق الوقوف إلى جوارك فى محتتك هذه ، ليتنى أستطيع الربت على ظهرك بل واحتضانك..

قال محمود : هو الآن يبحث عن أبيه كما بحث عن أمه.

ردت رغد : مسكين

تخلصت رغد من خجلها الزائد وإحساسها بالذنب وتأنيب الضمير وأصبحت تجالسهم وتشاركهم الحديث ، أصبح لها طبيعة مرحة بشوشة بعد أن ألفت عن كاهلها حمل كالجبال



، وعلمت أنها كانت ضحية لا جانية .. فأشفقت على نفسها
عوضاً عن تعذيبها ..

فرحت بها علياء .. وكانت لا تزال تتابع قراءة مذكراتها
لتطمئن عليها وعلى تأثير العلاج بشكل إيجابي عليها . لاحظ
محمود تغيرها للأحسن وفرح به ، كما لاحظته الجميع .

انتهى صلاح من سرد كل شئ لأبيه منذ أن وعى فى هذه
الدنيا فوجد أم جلال تعتنى به ، حتى بدأت تظهر له أمه
وأيمن ، وبحثه عنهما الذى قاده للبحث عنه حتى وصل إليه
..

كان صلاح يحكى ، بينما أبوه فى عالمٍ آخر يشرد ويمسح
دموعه حتى انتهى ، ودون أن يسمع تعليق أبيه على الحكاية
نظر فى ساعة موبايله وقام من مكانه وهو يقول : سرقنا الوقت
سأنزل لأشترى بعض الطعام وعبثا حاول أبوه أن يتكلم لكنه
خرج مسرعاً ..

تعود صلاح على هذه الأمور فهو يأكل ويخرج ويمارس
طقوس حياته وسط كل هذه الأحداث لكن والده كانت
المفاجأة والحكايات أكبر من أن يخرج منها سريعاً إلى دنياه
.. فرفض الطعام.

غضب صلاح وظل يترجاه أن يأكل وقال له : أول مرة أحضر
لك شيئاً. ألا تقبله ؟ لن آكل لقمة واحدة حتى تأكل معي.

قال : لكن هناك أمراً هاماً يجب أن أخبرك به

قال صلاح : لقد تكلمنا كثيراً اليوم دعنا نأكل أولاً ، وسوف
أمر عليك غداً بعد العمل وتخبرني بما تشاء

هيا أنا جائع .. ووسط إلحاح صلاح أكل الأب قليلاً وحمد
الله.. حمل صلاح باقى الطعام للمطبخ وقاما فغسلا أيديهما
وصليا العصر..

استأذن صلاح وذهب سعيداً .

فى اليوم التالى جلس صلاح إلى والده ينصت إليه ، بعد أن أبلغه بأهمية الأمر.

قال : هناك سر يجب أن تعرفه بعد كل هذا، ربما يساعدك فى حل لغز أيمن وأمك. - رحمهما الله - .. إن السر الخطير الذى أخفيته أعوامًا وظننت أنه سيموت معى أبى إلا أن يظهر.. سبحان الله .. بل ويجعلنى الله أعترف به وبكامل إرادتى لإبنى كطفل صغير يجلس أمام أبيه ليعترف بخطئه وهو لا يعرف ماذا سيكون عقابه.

ربما تكرهنى بعدها أو تذهب عنى ولا ترغب فى رؤية وجهى مرة أخرى، لكن لا بد لى من أن أعترف به لأريحك ياابنى وأريح أمك وأخيك ، وربما اتخفف قليلاً من عذاب الضمير، فأنا لا أنساها أبداً ولا يغيب عن ذهنى .. سر أخفيته حتى عن خليل صاحبى الذى كنا نأكل أنا وهو فى طبق واحد والذى اعترفت له بكل شئ إلا هذا السر .. إن الله قد ساقك لى

لأكمل الحكاية وأقفل الأقواس .. مهما كان الثمن .. إنها
مشيئته التي لا مهرب منها.

- أقلقنتني يآبى، ماهذا السر ؟ قل واطمئن لن أكرهك ولن
أوليك ظهري مهما كان ..

- انتظر حتى تسمع .. فى تلك الليلة كنا سهرانين أنا
وأصدقاء السوء فى صحن الدار عندى .. كنا نقامر ونشرب
الحشيش والبيرة والبانجو ، وكنا نحتاج من يقوم على خدمتنا
فيحرق لنا الفحم ويغير أحجار "الجوزة " ويبدل ماءها بين
وقت وآخر ويصنع لنا الشاى، وبمنتهى النذالة ذهبت فايقظت
والدتك بعنف كى تقوم على خدمتنا طوال الليل ..

- ثارت وقالت : لن أخدم سكارى ولا ءأمن شرهم .. كيف
ترضى لزوجتك هذا ياندل يا جبان ..

فضربتها وجذبت شعرها فلففته على يدي فأوجعها حتى
كانت تصرخ ، وقد إلتوت رقبتها قلت لها : ما أقوله تنفذييه
بالحرف وذهبت وتركتها لترتدى جلبابها الأسود وتلحق بى ..



وبدأنا نشرب ونسكر ونضحك وانتهى الجمر وبدأنا نحتاج تغيير ماء "الجوزة" وغابت فلم تطل من الداخل .. فدخلت اتفقدتها فلم أجدها لقد أخذتك وهربت وتركت أيمن نائماً، هربت من فوق السطوح واستخدمت الأسطح المتلاصقة.. رجعت إلي مجلس السوء ، فظنوا أن زوجتي ترفض إطاعتي وأنى لم أقدر على إجبارها، فبدأو فى التندر والتهمك على ،والضحك والسخرية، وبدأو يسمعونى اللاذع من كلامهم، ويطلقون النكات ويضحكون ، وخاصة "على" الذى يذكرهم بتندرهم واستهزاءه بى كلما نسوا فيعاودون الضحك والتهمك.. لم أشأ أن أخبرهم أنها هربت .. فهذا سوف يزيد سخريتهم منى كنت أشطاط غضباً رغم أنى اتظاهر بالإبتسام ،وظللت أتوعدها فى نفسى بأنها ما إن ترجع حتى أوسعها ضرباً وركلاً ، وأن أعذبها وأقطع لحمها بأسنانى ، واجعل جسدها يدمى من كل جانب واعمل لها عاهه مستديمة وأن أذلها كما أذلتنى أمامهم..

وهنا قرر أصدقاء السوء أن يسهروا فى مكان آخر ليجدوا من
يخدمهم ثم تهكموا على أثناء خروجهم بسؤالهم : هل ستأتى
معنا أم أنك تخاف منها؟ .. قلت لهم ببرود مصطنع: لا أنا
فقط متعب سأنام ..

ولكننى لم أنم ليلتها من شدة الغضب والحق عليها قلت
سأنتظرها حتى الصباح حتى ترجع لاشرب من دمها ..
وظللت أشرب وأسكر لأطفئ النار التى أوقدت بداخلى لكن
دون جدوى ..قلق أيمن فلم يجد أمه فظل يبكى قلت له
اسكت:

كان بكاءه ونداؤه عليها يحرق أعصابى ويضعنى على حافة
الجنون ويزيد من رغبتى فى أن تأتى الآن لأخنقها بيدي..
ولكنه لم يسكت واستمر فى البكاء والصراخ نوظل يناديه ،
صرخت فيه اسكت .اسكت ،وأخذت أضربه وأفرغ غضبى
كله فيه دون أن أشعر أنى أضرب طفل صغير لا ذنب له
ضربته بكل قوة ..ولم أفق إلا وهو جثة هامدة.



تجمد وجه صلاح واتسعت عيناه ذهولاً وانعقد حاجباه حزناً
وعقدت المفاجأة لسانه .. كان يرى أيمن فى مخيلته وهو
على حالته يملأ وجهه الكدمات والجروح ، لقد جاء بعد
سنين يشكو لأخيه ماجرى له وما يؤرقه ويقض مضجعه .

استطرد أبوه : نعم .. قتلت ابنى بيدى .

لم أقصد ذلك .. لم أكن أريد قتله .. الغضب والسكر أعميا
عيناي

..المسكين كان مثل عصفور صغير هاجمه نسر لا يمكنه
مجابهته ولا النجاة من مخالبة .. شخص ندل وضيع لا ينتمى
لمعشر الرجال وليس فى قلبه ذرة من المروءة أو الإنسانية ..

تراجعت للخلف وجسمى يرتعد بعد أن حاولت إفاقته وجثت
نبضه ووضعت أذنى على قلبه فتأكدت من موته .. ارتميت
جالساً على الأرض وأسندت ظهرى إلى الحائط أفكر، ووسط
كل هذا اشعلت سيجارة دخنتها وأنا انظر إلى المسكين
الممدد على الأرض تملأ وجهه الجروح وآثار الدم المتجلط

الذى خرج من أنفه مازال فى مكانه .. هاهو سكت عن البكاء
والصراخ، لكنه سكت للأبد حاولت أن أبكى لكن لم أستطع
تجمدت الدموع فى عيني .. قلت لنفسى : ما حصل حصل
يامحمد فكر الآن فيما ستفعل .. إذا طلع الصباح وجاءت أمه
ستصرخ وتجمع الناس سيأخذوننى إلى قسم الشرطة
سأسجن ليس أقل من خمسة عشر عاما .. لن يفيد سجنى
.. لن يرجع أيمن مرة أخرى ..

يجب أن أتصرف لابد أن أخفى جثته ، ذهبت فوضعت رأسى
تحت الصنبور لأفبق تماما من السكر، وأتيت بماء فمسحت
وجهه من الدماء ولففته بملائه ثم وضعت فى جوال وانتظرت
حتى الساعة التى تسبق الفجر فهى ساعة لن تجد فيها أحدا
يمشى فى شوارع القرية أبداً.. وإن قابلنى أحد سيظن أنى
أحمل جوالاً من الفحم .. حيث كنت أتاخر فيه ..

حملت الجوال على ظهري وفى يدي معول ، وتسلمت إلى
مدافن القرية ، اخترت مكان أذكره جيداً تحت شجرة الجميز



العتيقة التي تقبع وسط المقابر حفرت جنبها ودفنته وسويت
الأرض فوقه حينها لم أتمالك نفسى من البكاء ..
عدت للمنزل وجلست لا أستطع النوم فما حدث كان رهيباً
.. لا تظن أن الجرم هين على المجرم نفسه ، بل هو أقسى ما
يكون عليه منه على غيره ، أنه سوط يضرب ظهره طيلة
عمره ..

وخاصة جريمة القتل .. فالقتيل يشخص أمامه دائماً فى
يقظته ومنامه
وهذا أقسى من جبل المشنقة .. فكيف لوالقتيل هذا فلذة
كبدك ..

خيم الصمت والوجوم عليهما
استطرد الأب:

طلع الصباح وجاءت أمك مستعدة لأن أضربها وأشتمها فهى
تعرف ما فعلت لكنها مصره عليه ، ولكنها لم تجد منى
الغضب الذى توقعته وجدتنى جالسا منكسراً .. ظنت أنى لا

زلت سكرانا لم أفق بعد ، أو أننى للتو صحوت من نوم غير مشبع بعد سهر طويل مع الاصحاب ، لم تدرك أنى كنت ساهرٌ مع جثة أيمن ..

دارت فى المنزل ثم سألت عن أيمن وهل أرسلته يشتري لى سجائر أو غيره ؟

قلت : لا

قالت : أين ذهب إذن ؟

قلت : صحا ليلاً فلم يجداك ، فذهب يبحث عنك عند الجيران ، ولم يرجع ، صرخت وضربت صدرها وانطلقت تبحث عنه وتسأل الناس .

مسكينة .. كانت مثل المجنونة تحملك وتنطلق تبحث عنه كل يوم أسابيع وشهور بدأت بالقرية ثم القرى المجاورة حتى يأست تماما كانت تتهمنى بالبرود لأننى لا أبحث معها تقول : أليس ابنك ؟

لا تعرف أننى أعرف مكانه ولكنى لا أستطيع إخبارها ..



لم يعرف أصحابي لماذا أنا متغير ، واجم ، حزين .. لا
أجالسهم إلا صامت ضائق الصدر.. لا أشاركهم الهز
والضحك ، أو أغادر مجلسهم بعد فترة وجيزة متعللاً بأنى
متعب أو أريد النوم.. لكنى كنت أذهب لأجلس بالساعات
عند قبر أيمن لا أجد راحتي إلا هناك ولا أعرف ما السبب ..
فى صحوى صورته لا تفارقنى ، وأما نومى فنومًا متقطعًا تتخلله
الكوابيس والذعر، أحياناً أقوم فزعا من نومى فألبس حذائى
وأنتقل إلى حيث ينام لأهدأ وأحياناً أغفى إلى جواره ، فحين
أجلس معه مستندًا إلى الشجرة أشعر براحة غريبة .. كأنه
يأتى إلى فى اليقظة والمنام .. ليقول لى : ألم ترمى بى فى
هذا المكان الموحش تعالى وأنس وحدتى ، أذهب فتهدأ
روحه لتهدأ بهدوئها روحى.. كنت أحدثه وأونسه لكن
الحقيقة هو من كان يؤنس وحشتى رغم أنه صامت فى قبره لا
يتحدث.. كم تمنى سابقاً أن أسمع .. كم من مرة حاول أن
يخبرنى بما حدث فى المدرسة أو بما درس ، فلا أعطى له

الفرصة ليكمل حديثه ، كان يحب مادة الانجليزية رغم أنها لم تكن مقررة عليه حينها ، لكنه كان يسمعها من نافذة فصول الصف الأول الإعدادى فحفظ كثير من الكلمات ، اسمعه يردد لها لأمه ، فتضحك وتقبله وهى لا تفهمها .. وكان يحب مدرسة هذه المادة ويذهب إليها فى المنزل ، يخبرها أنه يود أن يتعلم الإنجليزية ، وأنه حين يكبر سيصبح مدرس إنجليزية .. فكانت تتركه يجلس مع الأولاد أثناء الدرس الخصوصى .. وهى أول من فكرت فيها أمك حين كانت تبحث عن أيمن .. كنت أنهره وأزجره دائمًا ، وأقاطععه عند أى حديث: (أذهب وأخبر أمك) تلك كانت جملتى الدائمة .. أب سئ لا يعرف عن ابنه شيئًا، لكنى تذكرت الكثير عنه فى جلساتى عند قبره وراجعت ما كان يقوله لأمه ويتطرق إلى سمعى، وما كان يفعله ، وكأنه يخبرنى بكل شئ مرة أخرى .. وأنا أسمعها الآن رغم أنفى، فصورته أمامى وصوته يلح فى أذنى بكل الحكايات ..



لا يزال صلاح يستمع لأبيه ذاهلا مختلط المشاعر لكنه نظر ناحية الباب فاذا بأيمن يقف بهيأته المرتبة الجميلة أشار بأسبابته : أخى أيمن

نظر أبيه فلم يجد شيئا ففهم أن أيمن يظهر الآن لصلاح انتظر حتى يعرف ماذا سيحدث أو ماذا سيبلغه.. اقترب أيمن فوقف أمام صلاح .

أشفق عليه صلاح مما سمعه ومما جرى له .. لا يخاف الآن من ظهوره.. نظر له بحب ومد يده ليربت عليه ، ثم لم يذكر أى شئ بعدها حتى صحا جالسا على آذان لم يدرك أنه آذان الفجر إلا بعد أن نظر فى ساعة موبايله ، كما وجد عشرات المكالمات من أصحابه وعمه .. كان هناك ضوء خافت نظر حوله فوجد نفسه ينام على الأريكة فى شقة أبيه وكان عليه غطاءً .. تذكر ماحدث ففضب جبينه مرهقا .. قال لنفسه: سأصلى وأذهب لا داعى أن أوقظه لكنه سمع أبيه يسعل

ويقوم من سريره يلبس حذاءه ويخرج للصلاة ورأى صلاح

مستيقظاً قال له : صباح الخير

- صباح النور

- كيف حالك الآن ؟

- الحمد لله .. ماذا جرى ؟

- غشى عليك أو ربما نمت نومًا مفاجئ .. حاولت إيقاظك

فلم تصح وضعت يدي على صدرك وجدت تنفسك طبيعي،

فمددت جسدك وبسطت عليك غطاء.

يحاول صلاح أن ينطق بكلمة شكر لأبيه ، لكنها تأبى أن

تخرج من فمه ، أين ذهبت شفقتة عليه؟ وأين ذهبت

الكلمات الطيبة.. وأين ذهبت سعادته به ؟ هل ذهبت للأبد

مع قصة قتله لأيمن؟

أطرق الأب حزينا ، شعر بما يدور بصدر صلاح ، ثم توجه

ناحية الحمام ليتوضأ .. الانسان لا يتسامح مع أخيه الإنسان

أبدًا إذا ظهر ذنب اقترفه منذ عشرات السنين ، ثم تاب



وندم.. وإن تسامح ، يظل الفعل عالقًا بعقله يراه كلما رأى ذلك الشخص ويظهر بعينه ، فيشعر صاحبه.. أما صلاح فذنب أبيه هذا أرقه شهور .. ثم إنه فى حق طفله الصغير ، من كان ينتظر منه الحماية والأمان.. جريمة وحشية بشعة ضد أخيه الصغير تضاف إلى جرمه فى حقه وحق أمه.. فكيف يتسامح؟

استاذن صلاح أبيه بالذهاب

قال الأب وهو يعلم أن الأجابه ستكون بالرفض: ابقى معى اليوم

رد صلاح وهو يتلاشى النظر فى وجه أبيه :عندى شغل والله ومهام كثيره متأخره بالعمل ..

- سأنتظرك بعد غدٍ نصلى الجمعة سوياً.

- سأحضر إن شاء الله

نظر فى عينى أيبه وحاول أن يقول شيئاً، لكن أبوه قال بنجل
: لا تقل شيئاً الآن أنت مرهق .. سنكمل حديثنا يوم الجمعة
بإذن الله.

عاد صلاح بعد أن اتصل بأصدقائه وعمه ليطمئنهم عليه ،
فعدد المكالمات الفائتة ، ورسائل الواتس تنبئ بأنهم كانوا
قلقين عليه ..دخل المنزل وقبل أن يصعد السلم ، كانت
علياء تخرج من شقتها ذاهبة إلى العمل ..شفقتها على
صلاح مما سمعت من قصته ، وقلقها عليه لما تأخر جعلت -
رغمًا عنها- عينيها مملؤها الحب واللهفة والفرح لرؤيته بخير ،
وخاصة أن محمود تلقى مكالمة صلاح وهو فى طريقة إلى
العمل فلم يبلغها .. قال : صباح الخير فتلعثمت وقالت خجله
: الحمد لله أنك بخير ..ابتسم صلاح وفهم مآلته عيناها
،وما تشعر به تجاهه من حب وتقدير، لكنه فى شأن لا يسمح
له بأن تتحرك مشاعره ، ربما لاحقًا، فقلبه مفؤد من هول ما
سمعه من أبيه ، كما أنه جريح بسبب موقف نهى منه ،
والتى ظن يومًا أن روحها معلقة به وأن الموت أهون عندها من

فراقه ، .. سعد إلى شقته فبدل ملابسه وذهب إلى عمله ،
وانتظر أصدقائه عودته ليخبرهم ماذا جرى وأين قضى ليلته..
وأمام دكان محمود جلس ثلاثتهم .. لم يستطع أن يخفى
عليهم أمرًا كهذا .. فبدأ يتكلم وأطلق لدموعه العنان يقول :
ما يحدث هذا كثير.. لم أكن أتوقعه أبدًا .. أيمن قتيل؟ طفل
صغير مسكين ضُربَ إلى حد الموت ..ومن قتله ؟ أبوه !
..أبي الذي سامحته عما مضى مجرد رؤيتي له كبير السن
مريض؟ .. مشاعري مختلطة تجاهه الآن .. أشعر بالشفقة
عليه وبالحنق والضيق منه .. أسامحه وألومه في نفس الوقت
.. لا أستطيع أن أحبه أوأكرهه..

ما كل هذا التهور والإجرام؟ الأمر لم يقف عن حد سهره
وسكر ومعاملته السيئة لزوجته بل تخطاها لقتله لابنه، طفل
برئ دون ذنب.. وهذا الطفل روحه غير مرتاحه ، يظهر لأخيه
يشكو له حاله يطلب منه أن يريحه .. كيف أريحك ياأيمن ؟
كيف أريحك ؟ هل أقتل أبي ؟ هل أبلغ عنه لترتاح ؟ ماذا



تريد؟ .. أبى الذى أتخذت قرار وأنا أجلس معه أن لا أتركه .. وأن أبره ماحييت.. ماذا أفعل الآن لأريح أيمن وأمى ؟ ليتهما يظهرها لى فيتكلما بوضوح ماذا يريدان أن أفعل بالضبط ؟.. وهل سيكون بأمكانى فعل ما يطلبوه صراحةً؟.. هل أبلغ عن أبى؟.. أم أعتذر لهم فليبحثا عن غيرى لهذه المهمة التى من المستحيل أن أفعلها.. الكارثة الأكبر إن كانوا يريدون منى أنا بالذات الثأر لهم .. إن كانوا يريدون منى أن أقتله .. ألا تتذكران ميدالية أيمن التى تركها لى ؟ المكتوب عليها " kill " ؟ " أقتل " هذا أمر صريح..

خالد : صلاح إهدأ قليلا كى تفكر، ولا تلفت نظر المارة.. صمت قليلا ثم قال : هذه الجريمة كانت بدون تعمد .. كما أنها حدثت منذ مايقرب من الثلاثون عاما أى أن الحكم فيها سيسقط بتقادم المدة ، فأبوك لن يسجن فى هذه القضية يوم واحد .. ومن الناحية الأخرى مستحيل أن يكون مطلبهم هو قتل أببيك .. إن الأرواح تذهب فى عالم آخر .. عالم ليس

فيه حقد أو غل .. هى أول من تسامح وتغفر وتتجاوز وتشعر
أن عالمتا هذا لهو ولعب ولن يريحتها أبدا قتل أبيتك .. لا بد
أنهم يطلبون أمر آخر لم نعرفه بعد ..

محمود : نعم . اتفق مع كلام خالد .. ربما كانوا يريدون
تعريفك بالأمر فحسب ولن يظهرها لك مرة أخرى ..

- ليس صحيح .. أنسيت أن أيمن ظهر لى عند أبى بعد أن
حكى لى الحكاية كلها ؟

لحظة صمت تلف الجميع قطعها محمود بقوله : أصعد الآن
إلى شقتك أنت تحتاج للراحة والنوم تحتاج لصفاء الذهن ..
كانت علياء بالداخل تسترق السمع وتبكى من أجل صلاح

ذهب صلاح إلى عمله ولاحظ زملاؤه شروده وعدم تركيزه فقالوا له : يبدو أن هناك أمر هام يشغل تفكيرك .. وبدأوا يقومون بمهامه كى يستريح .. وفى المساء كان يفكر: إن غدا الجمعة وعلى الذهاب لأبى .. يبدو أنه لا يزال عنده مايقوله ، كما أننى وعدته بالحضور .. لكن ماذا سأقول له ؟ كيف أواجهه ؟ هل ألومه ؟ يكفيه لوم نفسه وتأنيب ضميره .. هل أسامحه وأقول له: أنسى الماضى ؟ كيف؟ أنا لا أستطيع نسيان مقاله لى ، لا أستطيع أن أسامحه .. لقد سلب حياة أيمن أخى الصغير وهو لا يزال يئن فى قبره ، فلا يشعر بالراحة يأتينى ويطلب منى أن أريحه وأنا لا أعرف كيف؟

لولا ما فعله لكان لدى أخ أكبر منى سند لى فى الحياة.

لكن. قد حدث ما حدث وانتهى الأمر .. قدر الله وليس علينا إلا التسليم .. الأهم الآن هو كيف أتعامل معه ..

بات صلاح ليلته يفكر حين ويحوقل ويسبح حين آخر ، كما
أبلغه زميله فى العمل أن الصلاة على النبى تفرج الكرب فلم
يتوانى عنها ، حتى غلبه النوم فرأى فى منامه نفس الرؤيا التى
رآها فى بيت عمه، ينظر من النافذة يجد قريه ، حقول وترعة
وضوء القمر يبدد الظلام وامرأة تحمل طفل تهرب ليلا تجرى
وتلهث كان يسمع أنفاسها تتلفت وراءها خوفا من الملاحقة
، لكنها هذه المرة انحرفت فدخلت بيته وصعدت إلى شقته
، وأخذت تطرق بابه بعنف يدفعه الخوف ، وكأنها تريد
الإختباء عنده، كان ظلها يظهر من الزجاج اقترب من الباب
بتوجس وفتح فلم يجدها، لكن الطرق استمر وبشده، حتى
صحى من نومه فإذا بباب شقته يُطرق بالفعل كان ينام على
الاربيكة ، قام بصعوبه وفتح الباب نصف نائم فوجد خالد قال
: ماذا حدث ياخالد لماذا تطرق الباب بهذا الشكل؟ قال:
الساعة التاسعة الآن أنت طلبت منى أن أوقفك لتلحق بصلاة
الجمعة مع أبيك.. أنسييت ؟



آسف اضطرت أن أطرق الباب بعنف لأنك لم تستيقظ
بالطرق العادى .. كما أننى اتصلت بك كثيرا فلم ترد
- اعذرنى لم أنم إلا ساعات قليلة..

خرج صلاح ووالده من المسجد بعد الانتهاء من صلاة
الجمعة .. يرتدى جلباب أبيض .. كثيرين يحييون والده
ويصافحونه .. جمعة مباركة يا حاج محمد ..
كان يبدا لصلاح أن أبوه أصبح متناغم مع هذا المجتمع
سعيدا بحب الناس وتقديرهم .. شخص آخر يختلف تماما عن
هذا الشخص الذى كان يعيش فى "جزائر عيسى" يسكر،
يعربد، يقامر ، يبلطج يضرب ، يقتل ، ثم يسجن .. من هذا؟
ومن ذاك؟ إنه الإنسان بخيره وشره فقد يطغى شره ثم يعود
فيتنصر خيره ، وقد يموت على شره أو تسبق توبته الموت ..
أما الأخطر أن يبدأ الإنسان حياته بالخير والصلاح ثم ينقلب
شريرًا، فينحرف قلبه ويسلك مسالك الأشقياء.

لا أتمنى لنفسى ولكل من أحب أن يحدث ذلك معهم..
أدار المفتاح فى الباب ودلف يتبعه صلاح .. بدل جلباب
الصلاة فى حجرتة وخرج ليجلس مع صلاح ..

تبادلا الترحيب والكلمات العامة بتكلف كخاطب يجلس إلى
أهل الفتاة لأول مرة .. صمت الاب قليلا ثم قال : ياابنى إن
ماحدث آلمنى أكثر من أى إنسان آخر ..فقدت ابنى ..ولم
أبكى عليه إلا سرًا.. قتلته بيدي فى لحظة تهور وجنون
وغياب من العقل.. كان تأنيب الضمير يؤرقنى وإلى الآن لم
أسامح نفسى أبدًا ..أعرف أنك لن تتجاوزهذا الأمر بسهولة
..ربما ارتحت قليلا بعد أن شاركت معك سرى الذى كتمته
كل هذه السنين ..

أما أنت ياولدى فافعل مايرضيك ويريح أمك وأخيك فى
قبريهما ..

بتردد : ياأبى لا أستطيع أن أؤذيك أو أعيدك إلى السجن ..
أعلم أن الحكم سقط ، لكننى أيضا لن أجعل سيارة الشرطة



تأتى فيأخذونك ويضعون القيود فى يدك أمام جيرانك الذين
يحترمونك ويحبونك .. حتى لو خرجت براءة فى نفس اليوم
لكن .. احكى لى ماذا حدث لك بعدها؟ ولماذا دخلت
السجن؟ .. أنا جئت اليوم لأسمعك.

تنهد ثم قال : ظللت على حالى ، واجمّم مهمومّ ، اجلس
ساعات الليل معظمها عند قبر أيمن وأعود للمنزل مطرق أترنح
من الحزن فتظن أمك أنى مخمور.. هى أيضا يكون قد أنهكها
البحث والدوار فى الشوارع فتجلس حزينة مهمومة ..

ظللت على هذه الحالة لا أكل إلا ما يقيم صلبى ولا أنام إلا
غفوات

ولا تفارقنى صورة أيمن .. حتى وسوس لى الشيطان ألا
خلاص من تلك الحالة إلا بأن أغرق رأسى بشرب الخمر
والمخدرات مرة أخرى، فقررت العودة إلى أصدقاء السوء
، كان أحيانا يقابلنى أحدهم فيقول لى : كفى حزنا على ابنك
الضائع إن شاء الله ستجده .. سيكبر ويرجع إلى القرية

بمفرده ، ويضرب لى أمثال سمعها أو قرأ عنها ، أو ربما ألفها
عن أطفال ضاعوا ثم عادوا كبارًا .. ويقابلنى آخر يقول لى
: تعال معنا إلى حياة السهر والمرح كى تنسى حتى يعود .. لم
يعزىنى كلامهم .. فأنا أعلم أنه لن يكبر ولن يعود .. ولم
اهتم لدعوتهم لى فى الانضمام لهم .. ولكن فى ذلك اليوم
قررت ونفذت ، رجعت لهم وللشرب وللسهر وكانوا يطلقون
النكات فيضحكون وأضحك ضحك ممزوجا بالبكاء فأكثر من
الشرب حتى يغيب عقلى وأحيانا أنام مكانى فيتركونى .. أو
أرجع إلى البيت أغنى بصوت مرتفع ، فأطلب الطعام ، ومتعة
الجسد فأرغمها عليها .. وأضربها إن رفضت ، وأسبها بأبشع
الشتائم

لكنى لم أسامح "على" الذى كان على رأس المتنمرين فى
تلك الليلة المشؤمة .. كنت كلما رأيت وجهه تذكرت كل
شئ لكننى أكظم غيظى .. وأتشاجر معه لأتفه الأسباب
وخاصة فى التقامر .. وفى يوم من الأيام وصل شجارنا إلى



التشابك بالأيدى ، وحال بيننا باقى الجلساء .. لكننى قلت له سأقتلك والله لأقتلنك ، تكرر هذا الأمر ، فكنت أتمنى حقيقة أن أقتله وأتمنى إلى الآن لو كنت أنا قاتله..

تعجب صلاح: أو لم تقتله ؟ لما دخلت السجن أذن؟

- سأكمل لك .. لقد ملت أمك من حياتها معى وعلمت ألا جدوى منى ، ويأست من إيجاد أيمن فقررت الرحيل جمعت ملابسها القليلة وحملتك ورحلت لم أعرف إلى أين، فازداد حزنى ..

علمت أنى ضيعتها وضيعتك كما ضيعت أيمن .. كان ينبغى أن أفيق من حزنى لا على كأس الخمر ولكن على أسرة تحتاج إلى رجل وعائل.. امرأة مسكينة تحتاج من يحتويها ويحتضن أوجاعها بعد فقد ولدها الذى تسببت فيه ..قلت لنفسى : مانفع الندم الآن؟ ولمن أستقيم؟.. لم يبق لى أحد إلا أصدقاء السوء الذين يوفرون الكيف والخمر وبعض الطعام ..

علم أهل القرية بهروب زوجتى .. ومنهم جلساء السكر .. كنا
فى هذا اليوم نجلس فى " وكر " ملئ بالحشاشين والدخان ،
وزجاجات البيرة والنرجيلات تدور بين الجالسين ، كل
مجموعة لها مشروباتها، وأحجار الفحم والحشيش أمامهم ،
ينتقل فى المكان شخص أو اثنان لخدمة الزبائن .. عاد
"على" إلى سيرته الأولى ، كرر مافعله ليلة وفاة أيمن من
سخرية وتندر ، جعلنى أضحوكة المجلس مرة أخرى، فاشتد
غضبى وضربته وتشابكنا ،وعلا صوتنا بالسباب والشتم وعلا
أصوات من حولنا يباعدون بيننا التف حولنا كل الموجودين فى
الوكر، أخرجت " المطواة " أهدهه بها وألوح وأنا أسبه وألعه
،تلاحمت الأجساد ،تفاجأت بعلى وقد طعنه أحدهم ووقع
مضرج فى دمائه ففزع الجميع وابتعدوا ، فزعت فرميت
المطواة من يدى فوقعت إلى جواره وتلوثت بدمه وعلى نصلها
بصمات أصابعى .. شهد الجميع بما رأو وما سمعوا
..وسجنت ظلماً بتهمة قتل الرجل ، لكنه ذنب أخيك ،



..فإن عين الله ترى حين تغيب عين القانون ، هذا عدل الله ، أراد أن يعاقبنى على قتل أيمن ، وسوء معاملة أمك ، وجميع ما اقترفت يداى ، لكن كان فى عقابه رحمة حيث الرجوع إليه والتوبة والندم ..

طأطأ صلاح رأسه يفكر فى القصة كلها .. يقول: وكأن آلة الزمن حقيقة لا خيال .. وكأنى عدت بها فرأيت وسمعت .. علمت أصلى ومنشأى ، أبى وأمى وقصتهما، وكل شئ .. كل شئ حتى الأسرار المخبئة ، لكن الذى لا أعرفه إلى الآن هو كيف أريح أمى وأيمن.

التفت لأبيه : ماظنك أنت ياأبى ؟ ماذا يريد أيمن وأمى كى يرتاحوا وتهدأ روحهما؟

فكر قليلا ثم قال: والله ربما تكون روحها غير مرتاحة لأنها ماتت دون أن تطمئن على أيمن.. ماتت وهى تبحث عنه .. ربما .

ربما لو كانت علمت أنه مات ، فعلمت قبره ، ثم دفنت إلى
جواره حين ماتت ، ربما كانت..

قفز صلاح من مكانه واقفا : نعم .نعم.. لقد علمت ماذا
تريد أُمى وماذا يريد أيمن.. نعم لقد أخبرنى صراحة حين
قابلنى أول مرة لماذا لم أفكر فى ذلك من قبل ..لقد قال لى:
خذنى إلى أُمى.. بل وجعلنى أعده بذلك .نعم

وهى أيضا.. هى أيضا حين قابلتنى فى الحسين وهى تحمل
صورته وجهتها إلى وهى تقول : يارب من يجئ لى بابنى
يرزقه الله خيرا.

لقد صارحونى ياأبى ..لم يكن تلميح بل تصريح ..لم يكن
تلميح بل تصريح ..يجب أن يعرف الشيخ وعمى سالم
وأصدقائى.. يجب أن أخبرهم كلهم ليساعدونى فى اتمام
هذا الأمر ..

خرج صلاح وخالد ومحمود تصحبهم دعوات ودموع الجميع في المنزل وقالت له أم خالد : انتظر ياابني وأحضرت غطاءً ثقيلًا وملاءة أعطته له.. تعجب ماكل هذا إننا سنحضر هيكل عظمي لطفل صغير، لكنه أخذ الأغطية منها .. ركبا سيارة العم سالم ووصلا الى دار الشيخ مساء ، انتظروا حتى يتدثرون بعباءة الليل المظلمة حين يغيب القمر فتغورالنجوم ، وتهدأ العيون ، اقتربت السيارة من المقابر ونزلوا ، حفر صلاح برفق في المكان الذي حدده والده يمين شجرة الجميز العتيقة حين يكون ظهرة الى مسجد القرية ، حفرعلى ضوء فلاش الموبايل ، حتى وجد طرف ملائمة قديمة لا يبين لونها، مهترأة .. ارتعش وقال لنفسه : ترى أنا أحلم؟ تماسك وبدأ يزيل التراب بيديه حتى وجد جثة أيمن ، فإذا بها لم تتحلل ، وكأنه مدفون بالأمس ، كبر الشيخ وقال عمه سبحان الله .. أما صلاح وأصدقائه فقد عقدت المفاجأة ألسنتهم

وشلت حركتهم .. نبههم الشيخ : هيا هيا قبل أن ينتبه أحد
لنا اقترب الفجر

فأسرعوا وحملوا الجثة بعد أن لفوها بالملائة النظيفة والغطاء
الثقيل

وعملوا على إخفائها جيدا فى صندوق السيارة ، وانطلقوا
عائدين .. قابلتهم لجنة مرور، خافوا ، لكن الضابط شاهد
أوراق السيارة والرخص فلم يشتبه بهم وجعلهم يمرون ، وفى
منزل صلاح غسل الشيخ الطفل ، وكفنه وصلوا عليه واتجهوا
به إلى مقابر الدرينى .. حيث قبرأمه ، كان له ولها ما أرادت
فدفنوا أيمن إلى جوارها . بكى صلاح كما لم يبكى من قبل
.. فقد كان الأمرعظيم ومرهق للغاية لم يظن يوما أن يمر بكل
هذا .. احتضنه عمه .. وربت على ظهره الشيخ واصطحبه
أصدقاءه وانطلقوا عائدين ..

نام صلاح ملئ جفنيه حتى رأى فى منامه أمه ترتدى جلباب
جميل بلون وردى، منسدلة الشعر، بوجه منير مشرق .. تمسك



يدها بيد أيمن وكان يرتدى أيضا ملابس بيضاء جميلة
بيتسمان له وفي عينهما حب وامتنان ..أفاق من نومه فابتسم
وقال : الحمد لله

تمت

الكتانية وأهلها